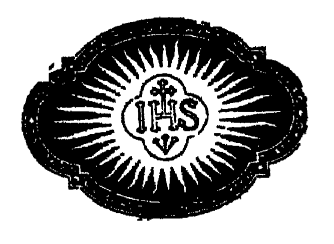
شيعة المسونيين





مطبعة الاباء المرسلين اليسوعيين في بيروت

١٨٨٥

IMPRIMATUR

† F. LUDOVICUS, [illegible]

مقدمة

اما بعد حمد الله تعالى فلما كان كثيرون من فضلاء هذه الديار التمسوا منا ان نشرح لهم الشيعة المسونية واعتقاد المسونيين ومكانتهم من الاداب وتعاليمهم وغاياتهم لم نرَ بدًّا من اجابة ملتمسهم وكان البشير قد نشر مقالات طويلة عن المسونية في هذه السنين الاخيرة اثر جدال عنيف وقع بينهُ وبينها فاستحسنّا جمع هذه المقالات كلها على حدةٍ واضفنا اليها نحوًا من ثلثين صفحة اتمامًا للفائدة فجاءت كتابًا وافيًا بالغرض مقسومًا الى ثمانية فصول في المسونية من حيث الديانة ومن حيث الاداب وتهذيب الاحداث وحرية الشعب وحرية ذويها وطرائق انتشارها وفي المسونية الخارجية والداخلية وقد بقي شيء كثير نقولهُ عن المسونية اعرضنا عنهُ لسنوح فرصة مناسبة وفي الامل ان ما جئنا به عن هذه الشيعة الممقوتة صار كافيًا لاقناع العموم بما انطوت عليهِ من الخباثة والمكر وما تأتيهِ من الشرّ والغدر اذا مهد لها السبيل وقانا الله من شرّ دهائها وحرس البلاد ولا سيما اقطارنا الشرقية من حيلها ودسائسها انهُ السميع المجيب

الفصل الاول

قال رأس الكنيسة لاون الثالث عشر في منشورهِ الاخير « عليكم ان تكشفوا النقاب عن حقيقة الشيعة المسونية ليراها الناس كما هي وان تعلموا الشعوب وتنبهوهم . . الى مكايد مثل هذه الجمعيات في موالستهم ومواعيدهم الكاذبة والى فساد آرائهم وقبح اعمالهم » وبناء عليهِ نأخذ الان بكشف النقاب عن فساد معتقدها في الدين

يدّعي المسونيون ان جماعتهم « لا تتعرض مطلقاً لدين من الاديان » فدحضاً لهذا الادعاء نستشهد باقوالهم عينها ليكون القارئ على بصيرة فيما يدعون

١ قال الاخ (١) غوافين في محفل ممفيس في لندرا

« اذا اذنت المسونية بدخول هياكلها ليهودي او محمدي او كاثوليكي او بروتستانتي فانما ذلك بشرط ان هذا الداخل يصير رجلاً جديداً ويكفر بكل اضاليلهِ الماضية ويطرح الخرافات والاعتقادات الباطلة التي أُشربها في صبوتهِ والّا فما فائدة مجيئهِ الى مجتمعات المسونية » (٢)

٢ قالت « المجلة المسونية » في كانون ٢ من سنة ١٨٤٧

ان اغلبية الماسون الكبرى لا ترفض فقط النصرانية بل ايضاً تثير عليها

---

(١) لفظة الاخ اصطلاح على الفرد المسوني

(٢) ديشان في كتابهِ الجمعيات السرية الصفحة ١١٥

حرباً عواناً والشاهد على ذلك قبول اليهود في المحافل الانكليزية والفرنسية والاميركية والبلجية ومن عهد قريب في كل محافل المانيا »

٣ وجاء في نشرة « الشرق العظيم » بتاريخ تموز سنة ١٨٥٦ الصفحة ١٧٢

كما يوجد حق طبيعي هو ينبوع كل الشرائع الوضعية كذلك توجد ديانة واحدة عمومية تشمل جميع ديانات الارض الخصوصية وهذه الديانة هي التي نعتقد بها وعليهِ فاننا نجمع اليها كل الذين يؤمنون بديانة خصوصية »

٤ ان شرق فرنسا العظيم (١) كان قد اضاف على دستورهِ الاساسي سنة ١٨٥٤ في مجمعهِ الحافل في ٢٦ تشرين الاول البند الآتي:

ان المسونية غايتها عمل البرّ ودرس الادب وممارسة جميع الفضائل « واساسها وجود الله وخلود النفس وحب الانسانية »

وسبب هذه الاضافة الجديدة كان لئلا يبتعد عن المسونية المؤمنون ذوو الاخلاق السليمة الّا ان المسونيين الذين في شرقي فرنسا عقدوا جمعية(٢) في مدينة متس في آخر آب سنة ١٨٦٩ وطلبوا من شرق فرنسا العظيم الغاء هذا البند الجديد فاجتمع المسون الفرنسيس في باريس في ١٤ ايلول سنة ١٨٧٧ وبعد ان استشاروا جميع المحافل الخاضعة لشرق فرنسا العظيم قرروا باغلبية عظيمة الغاء هذا البند وابداله بالبند الآتي

---

(١) وهو الذي تحت حمايتهِ جميع المحافل المسونية في سوريّة على ما هو صريح في مطبوعاتهم العربية الرسمية التي اطلعنا عليها

(٢) واعمال هذه الجمعية مطبوعة في متس عند ماير سنة١٨٧٠

« ان المسونية من مبادئها حرّية الفكر المطلقة والضمانة الانسانيــة فلا ترفض قبول احدٍ بسبب معتقدهِ »

لكن ذا الحكم قد اثار احتجاجات عديدة حتى ان بعضهم رأى ان في ذا النهج لمناقضة للفطنــة وهاك ما كان يقولهُ في مجتمع ١٨٧٦ المسيــو ماسيكول خطيب المحفل المسوني حين دارت فيهِ المخابرة والمناقشة :

« من المحتمل ان يحدث من الغاء هذا البند اختلال عظيم في المحافل المسونية ولا شيء يضنك العقول مثل هذه المناقشات العقيمة عن العلل الاولى هذه المناقشات التي تعاقبت الفي سنة بدون ان تأتي بنتيجة . . . فكان الاولى ان ندع العمل للزمان وننتظر اليومِ القريب الذي تستطيع فيهِ المسونية بدون ان تخشى انحلالها ان تلغي الاقرار الاعتقادي الذي يخــالف منطق ذوي حرّية الضمير » (١)

وقد انفعل كثيرون من الغــاء هذا البند الذي فيهِ وحده يذكر اسم الله الذي غيرتهُ المسونية على انهم لم ينثنوا عن الايمان بهِ لان هذه النتيجــة الوخيمة وان كانت صادرة منطقيًا عن مبادئهم الباطلة المقررة عندهم والتي عاشوا فيها سنين طويلة (٢) قد احدثت فيهم نفورًا واشمئزازًا

وهذا الانفعال قد بلغ حدّ الشدة في قلوب مسوني انكلترا والولايات المتحدة حتى افضى بهم الامر الى قطع علاقاتهم مع شرق فرنسا العظيم وسائر المحافل الخاضعة له

---

(١) جريدة « لوفرنسه » في ٣٠ اذار سنة ١٨٧٨

(٢) ان كلمة الله عند المسونيين تدل على خلاف ما يفهم بها المؤمنون

وقد تبدلت هيئة المسونية نوعاً في هاتين المملكتين من جراء سمو النظام الاني وقوة التقليدات السياسية وقد امتزجت مع الفرق البروتستانية وجعلت رسومها الطقسية مدخلا عظيما للتوراة فاذا كانت الديانة لم تكتسب في ذلك شيئا فالمحافل المسونية بتقربها هذا قد فقدت جانباً كبيراً من هيئتها الكفرية التي كانت لها في نشأتها. ولذا ترى هيئة المحافل الانكليزية والاميريكية منفردة عن غيرها انفراداً كليا

٥ اما المسونية الايطالية فهي في الكفر كشرق فرنسا العظيم (١) واليك ما جاء في كتاب الرسوم » المستعمل حالاً في المحافل الخاضعة لشرق رومة العظيم

يسأل المكرم (وهو رئيس المحفل) الطالب الدخول « أتؤمن بكائن سام » فيجيب المرشح بالايجاب اعتيادياً وحينئذٍ يمكن للمكرم ان يجيبهُ: «هذا الجواب يوجب شرفاً. فاذا كنا نقبل اشخاصاً من كل العقائد فذلك لأنّا لا نسبر الضمائر ونحن نوقن ان نخور الفضيلة مقبول عند الالوهية تحت اي شكل او هيئة قدم لها لكن اذا كان المرشح قال في جوابهِ انهُ لا يؤمن باللهِ فالمكرم يقول له « ان التعطيل (اي عدم الايمان بوجود اله) غير مفهوم اما التباين الوحيد الممكن حدوثهُ بين البشر الصادقين فعلى مسألة عرفان هذه العلة الاولى أهي روح ام مادة على ان المادي ليس بكافر، (والمادي هو الذي لا يؤمن بغير

(١) يفهم بشرق العظيم اكبر المحافل المسونية في عواصم الممالك ففي باريس ورومة ولندرا مثلا يسمى المحفل الاكبر بالشرق العظيم اما شرق بيروت فهو تحت حماية فرنسا الاكبر كما ذكرنا آنفا

المادة فاذا اعتقد بالله فالهُ هو المادة ليس الّا)

ونرى بُعيد ذلك « : يسأل الزعيم « ما تفهم بالايمان بالله » وبعد ان يسمع جواب المرشح يجيبهُ قائلًا « الايمان بالله هو الاعتقاد به مع انكار الوحي والعبادة وهو دين المستقبل العظيم الذي سيخلف جميع اديان ومذاهب العالم »

٦ وقالت في هذه المسألة « النشرة المسونية » الايطالية بتاريخ غرة آب عام ١٨٧٤ :

« العالم كلهُ يعرف ان هذه العبارة (اي لمجد مهندس الكون العظيم) المقبولة برضًى عام ليس لها أدنى معنًى منافٍ لغيرها بل ولا معنى ديني فهي صورة توافق كل الاذواق حتى ذوق الناكر وجود الله »

٧ وقالت ايضًا سنة ١٨٧٩

« ان المسونية التي طالما حفظت وتحفظ ايضًا في رأس اعمالها الخصوصية هذه العبارة العمومية القديمة « لمجد مهندس الكون العظيم » قد اعلنت صريحًا في كل الظروف ان « هذه العبارة لا يتألف منها أدنى مدهب فلسفي أو ديني لكن بالضد تتفق بسهولة مع كل المذاهب » والحوادث قد حققت قول الذاهبين هذا المذهب لان هذه العبارة لا تمنع من الدخول في محافلنا احدًا من المرشحين سواء كان يعتقد بالله أو ماديًا او كافرًا »

٨ وجريًا على هذا المبدإ قد اعلن رئيس المحافل المسونية الاكبر انهُ لا يقتضي ان يسأل المرشح هذا السؤال « بمَ أنت ملتزم نحو الله » بل فقط « بما انت ملتزم نحو الانسانية ونحو الوطن ونحو نفسك » (١)

---

(١) نقلا عن جريدة « العالم المسوني » سنة ١٨٧٨ الصفحة ٢٠٤

٩ اما في اسبانيا فهناك اعلان المبادئ التي نشرها محفل مدريد الذي اسمهُ « الانسانية » في شأن الخلاف الذي وقع بين شرق فرنسا وشرق انكلترا :

« ان المسونية لما كانت معتقةً من كل تعلّق بكنيسة وضعية كانت في الديانة مقاماً حرّاً مطلقاً يبحث عن العلائق التي بين الضمير البشري والعلة الاولى لحقيقة الحياة ليرى فيها بقدر الطاقة الاساس الحقيقي الصادق لكل عبادة مقدسة وشكر تقوي لان هكذا فقط يوافق ان يكون المرء اماً — كافراً بالله بقداسة — واما — معتقد بالله بتقوى — مع نبذ كل الاوهام الوثنية والخرافات بانواعها والعقائد الدينية » (١)

١٠ واما المانيا فيظهر ان نكران وجود الله سبحانهُ قد رسخ في اغلب محافلها ولكن مع المحافظة سياسيا على بعض عبارات تقرب من النصرانية . وقد ثبت المطران دي كيتلر ان محافل كثيرة تعتاض عن التوراة بكتاب مؤلف من أوراق بيضاء فيها مرسوم الاسم الكريم « الله » لاغير (٢) فان في ذلك الرمز الطبيعي والدليل الصادق عن المسونية لان ما معنى اسم الجلالة « الله » ولا شيء بعدهُ أو قبلهُ ان هو لا شك الَّا اله بلا تعليم ولا وصايا أو اله عدم

---

(١) ذكرت ذلك ايضا جريدة « العالم المسوني » في شهر تموز سنة ١٨٧٨

(٢) في كتاب « المانيا بعد حرب ١٨٦٦ » الصفحة ٢٠٨

١١ وجاء في صحيفة « فريمور زيتونك » (١) الجريدة السرّية للمحافل المسونية التي يحررها احد خدمة الدين البروتسان « زيل » مدير مدرسة ليبسيك البروتستانية

« ان الاخ « المسوني » شرل دي كاجن بعد ان تلا مقالةً في العنصر الديني الذي في المسونية في الثامن والعشرين من حزيران عام ١٨٦٦ في جلسة اشتراك المسونيين الالمان والاميركان اعلن العبارات الآتيــة واعداً انهُ سيطبع فيما بعد خطبتهُ قال : = اني مقتنع كل الاقتناع ان سيأتي زمان ولا بد ان ياتي هذا الزمان الذي يكون فيهِ التعطيل المذهب العام الذي تذهبهُ الانسانية برمتها وفي هذا الزمان تعتبر الانسانية ان الايمــان بالله مع انكار كل الاديان هيئة عتيقة فات زمانها كهيئة المسونيين الحالية المؤمنين بالله النابذين جميع الفرق الدينية . فلا يكفي ان نكون فقط متزهين عن كل الاديان المختلفة بل يقتضي ان نتخلص من كل اعتقــادٍ بالهٍ ايٍّ كان = »

ثمَّ اضاف الى هذا القول محرر الجريدة « زيل » المذكور ما يلي :

« هكذا يكون آخر ركن الانسان العقلي قد تزعزع وكاد البناء كلهُ يتقوض ويظهر ان انقلاباً عاماً جاء يتهددنا والقصور الباذخة التي ابتنتها السلطة الروحية الجائرة قد اندكت وآلت الى الدمار والبوار . وقد عم ايامنا هذه روح اصلاح كل شيء حاضر واحتقار الغابر

« لقد صارت سيادة أية سلطةٍ كانت جريمة فظيعة عند روح عصرنا الجــديد الذي لم يتمالك صبراً ولم يتكلف جلداً بل ان حدة الغضب الاعمى

---

(١) في عددها الصادر خامس عشر كانون الاول عام ١٨٦٦

حملته على اطراح كل ما يأتي بذكر تصور السلطة نفسه . فالكفرة هم اليوم جبابرة يزقون كبد السماء ويقوضون اركانها يرفعون رأسهم الشامخ ويصرخون في العالم بصوت يصم الآذان : « انما القدام الاغبياء والسخيفو العقول هم وحدهم الذين يتكلمون عن الله وخلود ولا يزالون يتخيلون بهما » فالاخ شرل دي كاجرن يجتهد بان يحفظ المسونية محررةً من كل اعتقادٍ ديني ومن كل شريعة بيعية فله بلا شك على هذا الاهتمام الشكر الجزيل »

ما افظع واشنع الحالة البؤسى التي آل اليها العقل البشري بابتعاده عن الله نور الحق والعلم والصلاح ...

١٢ اما شرق الحج العظيم الذي تأسس علانيةً سنة ١٨٧٠ بمساعدة المحافل الالمانية فقد اعرب بحريّة عن قبوله صريحًا بما اعلنه شرق فرنسا العظيم بالغائه اسم مهندس الكون العظيم من الواح المحافل وكذا اهم جرائد المانيا المسونية كبرهوت وفريمورير زيتونك فانها قد صفقت استحسانًا لحكم شرق فرنسا العظيم بحيث هو ممثل روح المسونية الحقيقي

١٣ وقد اعلنت جمعية الاتحاد العام للمسونيين الالمان « ان حكم شرق فرنسا العظيم ليس الا نتيجة مصادمة حريّة الضمير للفئة الكهنوتية ... فلا داعي لاخراج محافل فرنسا من الاتحاد المسوني العامّ » (١)

ولما كشفت المسونية نقاب عن فساد معتقدها اجتمع البروتستان اللوتيريون انفسهم سنة ١٨٧٢ وحجروا على خدمتهم الدينيين الدخول في المحافل المسونية وبهذا الشأن قالت المجلة المسونية « لاتوميا » (٢) « ان المذهب البروتستاني

---

(١) صحيفة « العالم المسوني » سنة ١٨٧٠ الصفحة ٢٤٦

(٢) مجلة لاتوميا المجلد ٢ الصفحة ١٦٤

يجب عليهِ من الان فصاعداً اما ان يرجع الى الكثلكة واما ان يتوقف عن المسير واما ان يتقدم فيصل الى المسونية »

١٤ لما افتتح المجمع الفاتيكاني العظيم في ثامن كانون الاول ١٨٦٩ برئاسة البابا بيوس التاسع وكانت وقتئذٍ الكنيسة كلها حاضرة بشخص الاساقفة المتقاطرين من اطراف الدنيا باسرها المجتمعين ليشجبوا أغاليط العصر وأضاليله الجديدة في اليوم نفسهِ والساعة عينها عقدت الشيعة المسونية في نابولي محفلاً حافلاً لقبتهُ « بالمجمع المضادّ » وافتتحت جلساتهِ الاولية برئاسة ريكردي لتجدد بعد ثمانية عشر قرناً ما كان في عهد بيلاطس من شجب ابن الله ولطمه على وجههِ وتكليلهِ بالشوك وتعريتهِ من ثيابهِ ليسخر ويهزأ به الخطأة ويكرروا اخيراً صراخ صالبيهِ القائلين « لسنا نريدهُ علينا ملكاً »

وقد التأم في هذا المجمع الخبيث سبعمائة نائب عن المحافل المسونية الكبرى في الولايات المتحدة والمكسيك والبرازيل واسيا (بيروت) وافريقيا وكل ممالك وولايات اوربا

واول اعلانٍ عن المبادي المسونية نشروهُ موقعاً عليهِ من كل لجان المجمع المضادّ واليك ترجمة نصهِ الرسمي الذي نشر في جريدة المسونية الرسمية في فلورنسه :

« ان الموقعين بذيلهِ نواب امم العالم المتمدن المختلفة المتتمسين في نبولي للاشتراك بالمجمع المضادّ يثبتون المبادئ التابعة: يعلنون حرية العقل ضد السلطة الدينية واستقلال الانسان ضد استبداد الكنيسة والحكومة والمدرسة الحرة ضد تعليم ذوي الكهنوت . لا يعرفون للعقائد البشرية اساساً آخر الّا العلم . يعلنون الانسان حرّاً وضرورة ملاشاة كل كنيسة رسمية . ويجب ان المرأة تعتق من

العلائق التي تقيدها بها الكنيسة والشريعة فتمنعانها عن تقدمها الكامل اما الادبية فيقتضي ان تكون مستقلةً استقلالًا تامًا عن اية مداخلة دينيَّة كانت »

١٥ واليك ايضًا اعلانًا آخر قسمهُ نائب المحفل الاكبر في احدى عواصم اكبر ممالك اوربا فقبل باصوات الاستحسان ووقع عليهِ رئيس المجمع وهو اكثر ايضاحا وترجمتهُ :

« ان ذوي الافكار الحرة يعرفون ويعلنون حرية الضمير وحرية الفحص وعندهم ان العلم هو الاساس الوحيد لكل معتقدٍ فهم يرفضون اذًا كل عقيدة بنيت على اساس الوحي ايًا كان ويقترحون التعليم لكل الطبقات مجانيًا الزاميا عالميا لحدًا ومادًيا (١) اما فيما يتعلق بالمسألة الفلسفيَّة والدينية فبما ان ذوي حرية الضمير يعتبرون ان تصور الله هو ينبوع وركن كل استبداد وكل ظلم وان الديانة الكاثوليكية هي كمال وقطع تمثيل هذا التصور وان مجموع عقائدها هو انكار الانفة نفسها فهم يفرضون وجوب العمل على ابطال النصرانية بسرعة وبلاشاتها مستأصلةً بكل الوسائل حتى بقوة الثورة والعصيان (٢) »

---

(١) يتذكر القراء هنا السبب الذي حمل البشير من نحو أربع سنين على المدافعة ضد التعليم الالزامي الكفري مناقضةً لتعاليم جريدة التقدم يومئذٍ

(٢) وقد ورد نص هذه الفقرة ايضا في منشور اذاعهُ السيد مرتين اسقف احدى مدن الولايات المتحدة سنة ١٨٧٥ وكان هذا الاسقف الجليل قد حضر مجمع فتيكاني وجمع الادلة السديدة عن المسونية من اسمى المصادر واصدقها وفي منشوره المذكور بين الخطر الذي سينشأ عن المسونية في كل البلاد وهتك ستار عن الشرور التي كانت تسببها يومئذٍ للولايات المتحدة

فلا يخفى ان المسونية بهذه الشهادة الصريحة التي ابدتها في محفلها المسكوني امام نواب كبار المحافل المسونية السبع مائة قد قضت على نفسها باقرارها علانيةً ان المسونيين ذوي حرية الضمير يحاربون الله نفسهُ وكل سلطة دينية ومدنية فلا سبيل من ثم لتمويههم حقيقة امرهم واخداع بسطاء بلادنا بقولهم انهم لايتعرضون لدين من الاديان لأن الذئب قد تجرد من صوف الحمل اما اشهارهم الحرب على الدين الكاثوليكي فما يولي الكنيسة شرفًا وافتخارًا لانهم يعرفون انها أقوى والد اعداء الكفر والتعطيل والثورة فهم يقصدون ملاشاتها وهي تهزأُ بهم كما هزأت باعدائها أصحاب البدع ومضطهديها الملوك والامراء الذين حملوا عليها وأنزلوا بها النكال نحوًا من تسعة عشر قرنًا فبادوا وانقرضوا جميعهم ولم تزل الكنيسة مشيدة الاركان حاملةً لواء الظفر في كل البلدان وسوف تبقى ظافرةً الى الأبد رغم انوف حسّادها ومبغضيها تتمةً لنبوءة الله مؤسسها الذي قال ان ابواب الجحيم لن تقوى عليها

وبما ان المسونيَّة هي العدو العمومي الألد لكل مؤمن بالله سبحانهُ كما أقرت هي عن نفسها فعلى كل المؤمنين أن يمقتوها ويحاربوها ولا يعقّوا خالقهم وسيدهم لينضموا الى اعدائهِ وجاحديه . وفي يقيننا ان أصحاب جميع الاديان يوافقوننا بل يساعدوننا على كبح اعداء الدين والسلاطين ان الله لايضيع اجر المجاهدين

١٦ إن التعاليم التي نقلناها عن خطب المسونية وجرائدها ليست بحديثة بل هي بعيدة العهد وهاك ما كتب في الجيل الماضي ادم ويسهوبت المسوني وهو

رغما عن الموانع التي تعيق نجاحها بعض الاعاقة

الذي اسس سنة ١٧٧٦ الشيعة المعروفة بالمنورين التي اشتركت فيها جميع المحافل المسونية :

« من يشأ ان يشتغل لغبطة الجنس البشري ويزد سرور الناس وراحتهم وينقص كدرهم يقتضِ عليهِ ان يسبر ويضعف كل المبادئ التي تشوّش راحتهم وفرحهم وغبطتهم ومن هذه (المبادئ) جميع المذاهب التي تشين شرف وكمال الطبيعة البشريّة — (من جملتها الخطيئة الاصليَّة) — والتي بدون ضرورةٍ تضاعف الشرّ في العالم وتمثله اكبر مما هو . جميع المذاهب التي تلتهم استحقاق ومقام الانسان وتقلل الثقة بقواه الطبيعية — (التواضع والاسرار والنعمة والصلاة) — والتي تخالف العقل البشري — (الايمان والوحي والسرّ) — والتي تفتح ايضاً سبيلا حرًّا للخداع — (كلّ ديانة موحاة) — كل المذاهب الالهية والسريّة — (كل ديانة وكل فلسفة يكون الله لها ركناً ومبحثاً) — وكل التي لها علائق قريبة او بعيدة مع هذه المذاهب وكل المبادئ التي تصدر عن معرفة الله المبادئ الشديدة الخفاء غالبا في قلوبنا تفضي جميعها بالبشر الى هذا الحد وتختص بهذا الصنف » (١)

١٧ وكتب ايضا الى زواك احد كبار انصارهِ الذي انضمَّ اليهِ مع الاولين وقبل في الشيعة باسم كاتون :

« ستعرف ان وحدة الله كانت احد الاسرار الموحاة في اسرار لوسيس

---

(١) مذهب المنورين المصلح مع رتبهِ وقوانينهِ . تعليمات للداخلين (في هذه الشيعة) المائلين الى حماقة الاعتقاد باللهِ والسجود له . لادم و يشبت بارويل في كتابه المذاكرات المجلد الثالث الصفحة ١٨٥

لكن لا تخف من هذا القبيل ان ترى شيئًا مشـابهًا في اسراري » وكتب له ايضًا « وجه اليَّ الاخ نومانيوس — (كان احد مشايعيهِ الذي كان يؤمن بعد بالله) — واجتهد بان ينفتح بيني وبينهُ باب المراسلات لاني قاصد ان اشفيهُ من ايمانهِ بالله واجعلهُ على مشربنا » (١)

هذا اذن ما كان ينادي به علنًا مؤسس المنورين من تدمير الديانة المسيحية وكل دين وملاشاة تصور الله تعالى

١٨ ومع ذلك لنوال الغاية بنجاح تامّ ولا فساد عدد كبير من النفوس قد استعملت وسائل كثيرة كالرئاء والوشايات والخداعات القبيحة ولم تهمل واحدة من هذه الوسائل حتى انها ادعت ان المسيح كان مسونيًا وهاك ما كتب الى كاتون نفسهِ تائب ويسهوبت البارون كنيج المشهور كثيرًا بين المنورين باسم فيلون :

« انا ابتغاء ان نضم الى منهجنا اولئك الذين ينكرون كل وحي الهي مع لذين بين المبتدئين يظنون انهم محتاجون اليه ورغبةً في ان نجمع بين تصوراتهم كان من اللازم ان نرى للنصرانية تفسيرًا يرد الموسوسين الى العقل ويعلم حكماءنا الاكثرين حرية ان لا يرفضوا الشيء لسوء استعمالهِ

« وكان من اوجب ان هذا السر يكون سر المسوبية وينتهي به الى اربنا . ومع ذلك ينمو الاستبداد كل يوم وروح الحرّية يتقدم ايضا في كل مكان فنقول اذن هنا ايضًا ان يسوع لم ينشئ ديانة جديدة لكنهُ اراد بالبساطة ان يجدد الديانة البيعية في حقوقها فباعطائه للعالم علاقة عمومية ونشره نور

---

(١) كتابات اصلية المجلد الاول الرسالتان الرابعة والثالثة

وحكمة أدبيته وتبديده الاوهام كانت نيته ان يعلمنا ان نسوس نحن انفسنا بانفسنا وان يجدد بدون وسائط الثورات الغاصبة الحرّية والمساواة بين الناس .
ويكفي لاثبات ذلك ايراد نصوص مختلفة من الكتاب (المقدّس) وابداء بعض تفاسير صادقة او كاذبة على السواء بشرط ان كلاً يرى معنًى موافقاً للعقل في تعليم يسوع . ثم نقول ان هذه الديانة الجزيلة البساطة قد فسدت فيما بعد لكنها لا تزال محفوظة بنظام السرّ وقد وصلت الينا بالمسونية

« فسبرتكوس — (وهو اسم ويسهوبت عندهم) — قد جمع لذلك شهادات كثيرة وقد اضفت شهاداتي في التعليم للدرجتين (درجة ايكوسي دي سنت اندره ودرجة ايبيت اي كاهن) فبعد ان يرى هكذا قومنا انّا نحن وحدنا عندنا النصرانية الحقيقية لا يبقى علينا اذ ذاك الّا ان نضيف بعض الكلمات ضد خدمة الدين وضد الملوك ومع ذلك فقد عملت هذا بنوع اني اريد ان اضع هذه الدرجات البابوت والملوك بشرط ان يتحملوا امتحاناتنا

وفي الاسرار الاخيرة يترتب علينا اولاً ان نكشف للانتصار هذه الخديعة التقوية ثم نوضح لهم بالكتابات اصل كل الاكاذيب الدينية واتفاقها او علائقها المتبادلة وننتهي اخيراً بان نقص تاريخ جمعيتنا » (١)

فهذه الشهادة الصريحة تبين لنا امرين مهمين اولهما ان الذي ادعى في هذه الايام في مصر ان المسيح مسوني ليس باول من ذهب هذا المذهب بل هو تلميذ لويسهوبت الالماني . ثانيا ان المنورين قد أقروا انفسهم انهم

---

(١) الكتابات الاصلية المجلد ٢ رسالة من فيلون كنيج الى كاتون ازويل . ذكريات المجلد ٣ الصفحة ١٥٠

لا يقصدون بالقول عن المسيح انهُ مسوفي الَّا مجرد خداع النصــارى وتضليلهم بحسبُ اقرارهم هذا ردًّا عليهم

١٩ ويريد ويسهوبت المسوني في القسم الثاني من التعليم المختص بالاخ المتداخل او المسجل ان يحمل على البقاء في الارتياب الحاصل اليوم على طبيعة النفس وسرمديتهــا ونصيبهــا بعد الانفصال . . . ويرغب ان يقرأ في اجتماع المينرفاليست (الدرجة الثانية) وتفسر تارةً آياتٌ من التوراة وطورًا آيات من كونفوسيوس (الفيلسوف الصيني) وابيكتيت (الفيلسوف الفريجي الوثني) وسنيكا (الفيلسوف اللاتيني الوثني) كأن ليست لاحدى هذه الشهادات مزيّة على الاخرى بل لكلٍ منها سلطة واحدة على حدٍّ سوى

وكتب الى كاتون ايضا يقول « فلنكن مع المبتدئين ذوي فطنةٍ على كتب الديانة والسياسة وفي مذهبي اني احفظها للاسرار العظيمــة اما الان فلا نعطِ للتلامذة الَّا كتبًا تاريخيَّة أو جدليّة والأدبيّــة يجب قبل كل شيءٍ ان تكون موضوع عملنا اما كتب روبينه وميرابود ومذهب الطبيعة الذي اذاعهُ ديدرو باسم ميرابود والمذهب الاني وسياسة الطبيعيّة وفلسفة الطبيعة وأمثــالها — (وهي الكتب الماديّة والكفريّة كما لا يخفى)— هذه كلها تخصص للدرجات العاليا

« فيقتضي الان اخفاؤها باعتناء وحجبها عن عيون الاولاد ولا سيا كتاب هلفيتيوس في الانسان ومع ذلك اذا وجدت باتفاق هذه الكتب أو امثــالها عند بعضهم تركت لهم بدون ان يمدحوا او يُذموا على اقتنائهم »

٢٠ وفي تعنيهِ للمشتركين المائلين الى حماقة الايمان بالله والسجود له يعلمهم ان يدعوا على حدة الخالقة تخيــالًا مجهول عند كل القدماء و ن يدعوا الديانات

كلها الى مذهبين الاول مذهب المادة المساوية لله في الازليَّة فهي قسم من الله منبثقة من الله مطروحة خارجاً عن الله ومفترقة عن الله لتصير عالماً . والمذهب الثاني هو مذهب المادة المساوية لله في الازليّة بدون ان تكون الهاً لكنها مستخدمة من الله لتكوين العالم. فهكذا لا يكون الله الَّا مهندساً فقط . وعلى هذه التقديرات بنى ريسهوبت تاريخاً لكل الديانات بجعلها كلها محاليةً على السواء وصنع في الخطاب نفسهِ مجموعاً على هواهُ من جميع مدارس الفلسفة ومذاهبها وبعد ان طرح فيها جميع شهادات التاريخ اخرج من هذه المذاهب الديانة المسيحيــة وسائر الديانات فكانت النتيجة ان جميع الديانات مؤسسة على الخداع والتخيل وانها كلها بلا استثناء تفضي بالانسان الى جعلهِ متراخياً كسلان دنيئاً موسوساً وانها كلها تلتهمهُ وتكدر صافي سعادتهِ. فهذا هو روح كل الدرجات : الانسان حريص يرى في كل منهــا ارتسام صورة تكون الله تعالى . في كل مكان الطبيعة تفعل كل شيء فعليها يجب الاعتماد وحالتها الاولية يجب تشييدها . وفي الدرجة الاخيرة التي هي درجة مجوسي أو فيلسوف ترك ويسهوبت كل الالتباسات والتوريات ورسم علانيةً رسم المبدئ الاساسيّة : كل شيء هو مادي فالله والعالم ليسا الّا شيئاً واحداً وجميع الديانات هي غير ثابتةٍ وخيــاليةٌ واختراع لرجال ذوي المطامع (١)

وقد سبق القول ان المسونيين قد اقتبسوا روح المنورين واتبعوا مذهبهم القائل بان الانسان يمكنهُ ان يقاوم الالوهية واعلن هذا صريحاً احدكبار المسونيين

---

(١) انظر بارويل في كتابه مذكرات على جمعية اليعقوبيين المجــلد ٣ الصفحة ٣٨— ٦٩— ٧١ و ١٨٢ و ١٨٧ و١٩٣

فكان اعلانهُ كصدى لما نطقت بهِ الحية قديمًا مكالمة ابوينا الاولين : « ستصيران كآلهة » واليك كلام هذا المسوني :

« ان الروح الذي بهِ نحيا هو روحٌ ازليٌّ لا يعرف انقسام زمانٍ ولا وجودًا فرديًا فان في الجلد الواسع وحدة مقدسة تملك وتسوس . فليس الّا سلطة واحدة وأدبيّة واحدة واله واحد ولذا نحن الله والانسان من جنس الله وروح الانسان من روح الله والروح غير منقسم فنحن البشر نؤلف الكل الذي يقوم منهُ الكائن العظيم وكلٌّ مرجعهُ الى هذا الوحي : نحن الله . . . فالذي يشعر بانهُ الهٌ يعيش بحياةٍ لا تعرف الموت » (١)

٢١ ولا شك رغبةً في عدم ازعاج العقول الجبانة والاتام الفضلاء الذين ينضمون الى المحافل المسونية يهتم اولو التدبير بان لا يتخذوا معهم الكلام الغير المألوف بل يوافقون ايضًا عوائد الكثيرين واوهامهم . على ان أصحاب السلطات المسونيين لم ينثنوا ابدا في كل فرصةٍ عن ان ينتصروا لمبدإ ملاشاة كل ديانةٍ وضعية على الاطلاق فدونك ما كان الاخ المسوني كنراد يكتبهُ بصراحةٍ في جريدة ليبسيك المسونية التي اسمها « بوهوت » :

ان عدونا الألد هو الكنيسة الرومانية الكاثوليكية البابويّة المعصومة مع نظامها العام والشديد الالتحام فهي عدونا الارثي والحقود فاذا اردنا ان نكون مسونيين حقيقيين وفضلاء واذا رغبنا في تنجيح جمعيتنا يقتضي ان نقول على رؤوس الملا مع ستروس « نحن فرغسون ايس الّا » فالتائقون الى المسونية ليس لهم ادنى نفع للانسانية ولا يعتبرون بشيء في جمعيتنا فامّا ان تكونوا مسيحيين

---

(١) نشر ذلك في المجمع الرسمي لاعمال المسونية الهولنديّة وعنونهُ :
Jaarboekje voor Nederlandsche Vrijmetselaren 1872)

واما مسونيين فاختاروا ما شئتم »

فهكذا اذن تفهم المسونية بقوانينها ودساتيرها التي بحسبها تدّعي رئاء انها « لا تتعرض للديانات المختلفة المنبثة في العالم ولا لهيئات الحكومات فهي في المنزلة العليا التي تتجلى فيها تحترم الايمان الديني والمودات السياسية التي بين كل من اعضائها »

٢٢ ومن الشهادات الكثيرة التي تنبئ منطوق هذه القوانين الشهادة الرسمية التي ادلى بها الكونت دي فرنيت نائب القائد الكبير الدوق دي كاز المتولي رئاسة المجلس الايكوسي السامي فقد كتب الى احد الاخوة المسونيين البروسيين الذي كان لم يزل متشبثاً بالقدميات ولا يريد قبول اليهود في المحافل :

« ان الهنا ليس له اسم مخصوص فهو مهندس الكون العظيم وهو الفاعل الازلي في الشغل على الزاوية (كذ) يحب جميع الناس الاحرار والصالحين ويحمي عملهم

فالاستمساك بالاوهام الدينية التي من الجيل المتوسط انما هو انكار سريعة التقدم والنجاح وتثبيت ان المسونية ليست الا من عهد النصرانية وجهل التفتيش الملكي المشهور . . .

« فالمسونية هي دينة بمعنى انها تجمع بين البشر وتقف نفسها الى الإخاء العام وتجتهد في رجوع وحدة الانسانية الاولية

٢٣ وايضاً عند افتتاح محفل المسمى « بالنيل » في القاهرة من اعضاء محفل « ميزميد » اي الاهرام المنفذين من قبل شرق فرنسا العظيم قد اعلن رئيسه الاخ جوليان هذه الوحدة نفسها في صحيفة « بولتين اوفيسيال » بهذه العبارة :

ان الغاية التي نتبعها بلا ملل هذه الغاية الازلية هي ان نجمع بين كل

ما فرّق بالجهل والتعصب والاوهام (المعتقدات الدينية) ونجعله حزمةً واحدة » واضاف الى ذلك الخطيب المسوني لويس مرتين « بدون تمييز اصل او قبيلة او مذهب » (١)

٢٤ وفي ٢٦ كانون الثاني عام ١٨٧٩ كان احد روساء المسونية البلجية الاخ كوبلت دافيلا يقول في محفل « الاصدقاء المحبي البشر » في بروسيل

« ان المسونية تبين انها ليست فقط فلسفة اي فلسفة التقدم والنجاح بل هي ايضا ديانة التصور . فيمكن اذن المشاحة على منفعة شركةٍ واسعة كالمسونية التي بازاء السلطات الالهية الساقطة من كل الجهات تلتئم لتشييد الهياكل كما نفعل اليوم للعبادة التي ستخلف جميع العبادات لانها موسسة على تصور الطبيعة ذي النجاح »

وهذا الكلام طنطن في المحافل المسونية في جميع اطراف الدنيا واليك مقال احدى الجرائد لسان حال المسونية في البرازيل .

« ان المسونية هي هيكل عظيم كما كان قديما هيكل رومة الذي يترحب بجميع الالهة لانه لا يتألف من مجموعهم كلهم الا اله واحد » (٢)

٢٥ فيتيسر لنا اذن ان نستنتج مع المسيو كولتو دي شانتلو ان « الغاية

---

(١) نشرة شرق فرنسا العظيم السنة ٢٤ السلسلة الثالثة ٥٨٦٨ الصفحة ٣٠٤

(٢) وسم الجريدة لسان حال المسونية « بالميكان » في بارا . ذكر ذلك السيد نطون مسيدو كوستا استقف بارا العظيمة في تآليفه « تعليم على المسونية باعتبارها تحت النظر الادبي والديني والالي »

الحقيقية بوجه لعموم لكل الجمعيات السرية قدكانت دائماً وهي كائنة الآن وستكون ايضاً دائماً لقتال ضد الكنيسة والديانة المسيحيتين (١) » فالمبدأ لعمومي لجميع المحافل هو انكار يسوع المسيح وانكار كل ديانة موحاة بل ايضاً انكار كل اله خصوصي وتدمير كل عبادة لكن هذا كله ليس بحصر الكلام الآ وجهة الهيكل المسوني ورسومه الاولية فيقتضي علينا ان نتوغل داخلا ونجول المخادع والطوابق المختلفة ونتحقق ان كل شيء فيه من الاساس حتى قمته يطابق بصورة مريعة ما في خارج هيكل

---

(١) كتاب الشيع او الشركات السرية للكونت كولتو دي شانتلو في المقدمة الصفحة ١٠

الفصل الثاني

١ انا فيما تقدم من الكلام عن الشيعة المسونية قد بحثنا عما لها وللدين من النسبة والعلاقة فوجدنا ما بينهما كل التباعد والتناقض اذ قد ثبت بعدة شهادات نقلناها عن كتابات اولئك المسونيين انفسهم ان جلّ غايتها تقويض كل اعتقاد يستند على الوحي مع ان الدين لا يُحسب ديناً الا اذا كان وحياً من الله سبحانه وتعالى اما الدين الذي تنادي به الشيعة المسونية بالتباس الكلام فليس بدين البتة بل كفرٌ محض اذ تقتصر على عبادة الطبيعة الهيولية دون الخالق . وفيما تكلمنا عن ذلك مؤونة كافية لتبيان وجه مداخلة المسونية في الدين فلا حاجة بعد لمزيد بيان

أما الآن فعلينا بالبحث عن المبادئ الادبية التي تعتمد عليها الشيعة المسونية باقرار كتبتها انفسهم لكي يتضح لكل ذي عينين ما اصدق (بل ما اكذب) قول من قال « ان تلك الشيعة آيلة الى خير الامة » وسوف يتبيّن بالحجة البينة ان المسونية تفضي بالامة والانسانية معاً الى الدمار والبوار

٢ ان الادبية تتولّد ضرورة من المعتقد الذي هو منشؤها ومبدأها . فلا بد عسى ان تكون الادبية المسونية وقد قالت جلة المسونية بباريسية (في نشرها الاول عام ١٨٣٥) « ان الاله المسونية انما هو الطبيعة » فاذاً ديانة المسونية هي عبادة الطبيعة وادبيتها تقوم بقضاء رغائب الطبيعة في كل اميالها وجميع شهواتها وبما ان المسونية ترسم قبل كل شيء على رايتها كلمة « الحرية » فهي تقر لكل تبعها حق قضاء جميع شهواتهم باسم الحرية

٣ قال المحفل الاعلى في ايطاليا في تعليم سري ذكره العلامة [illegible]

كرتينوجولي : « ان حلم الجمعيات السرّية سيتم لا محالة على اسهل طريقة وذلك لان ركنهُ القائم عليه انما هو شهوات الانسان فلنعدد اسلحتنــا في زوايا المحافل ولنجهز كل الوسائل لتهييج ونوافق جميع الاهواء سواء كانت غاية في القباحة اوكلية الصلاح . وكل شيء يحملنا على التيقُّن ان هذا المنهج سينجح ويتجاوز تقديراتنا حتى المستحيلة غاية الاستحالة »

فاذا كانت المسونية اساسهــا مستندٌ على الاهواء البشريّة ومن واجباتها موافقة هذه الاهواء وحملها على قضاء رغائبهــا بكل شيء وفي كل مكان فما شأن ادبيتها ان تكون ياترى ؟ . .

فلا ريب ان هذه الادبية كأنها تقول للاخ المسوني : ان كنت مائلًا الى السرقة فاسرق ما استطعت حسنًا تعمل . وان كنت مرتاحًا الى العهـــارة والفسق فلا يهولنك الامر بل متع نفسك بكل الملاذ الممكنة ولا تستحِ خجلا . وان كنت تائقا الى الانتقام فخذنّ بالثأر واهرقنّ دم النـــاس اذا دعت الحاجة فلست ملتزمًا بالعفو او مجبرًا على ان تربي في قلبك كيد الانتقام كدودة قارضة . وان كنت ميالًا الى الحسد و .... او الخديعة او خيانة فاتبعنَّ هواك واقضين أربك باحسن ما تستطيع

٤ وتأييدًا لقولنا هذا اسمع ايهـــا لقارئ اللبيب ما علمهُ لاخ المسوني راكون في كتاب رسوم ادخال النساء الى المسونية (١) وهذا نصهُ :

« لا دنس يدنس الانسان الّا لقذرة الماديّة . . . اما العفة المطلقــة فهي مرذولة عند المسونيين والمسونيات لانها ضد ميل الطبيعة ومن ثم يبطل

---

(١) الصفحة ٢٢ و٢٨

كونها فضيلة الفية »

٥ وفي كتاب الاخ راكون نفسهِ ترى السؤالين الآتيين مشفوعين بالجوابين التاليين

« سؤال : ماذا نفتكر في عدم انحلال عهد الزواج

« جواب : افتكر انهُ مضاد لشرائع الطبيعة والعقل فلشرائع الطبيعة لان المعاهدات الالفية كثيرًا ما جمعت بين الكائنات فرّقتها الطبيعة بنفور وكراهات لا نكتشف الّا في الزواج . ولشرائع العقل لان عدم الانحلال يرسم شريعة للمحبة (الزواجية) ويدّعي تقييد الرغائب الكلية العناد وغير الاختيارية

« س : باي شيء يصلح هذا الخلل

« ج : بالطلاق فذلك في آدابنا (المسونية) ونأمل ان تجيزه الشريعة المدنية فيصير قانونيًا »

ومعلومٌ ان المسونية قد سنت في فرنسا شريعة الطلاق ايام الثورة الكبرى سنة ١٧٩٣ وان اليهودي والمسوني « ناكة » باستعانتهِ بسائر المسونيين قد نال حديثًا من المجالس الفرنسيين تجديد هذه الشريعة نفسها المضادة على خط لاستقامة الشريعة المسيحية ولاخلاق جميع الاوربيين الذين بقي عندهم ذرة من الحياء والديانة

٦ واليك ما كان يقرأ في الجريدة المسونية « فولتير » مما كتبهُ الاخ ارنول نسوني الى مسيو ناكة :

« ان مجلس النبلاء باقتراع اجراه حديثا قد اقرّ مبدأ الطلاق بعد ان بذل في المناقشة على هذه المسألة كل ما في وسعه

« فالكنيسة الكاثوليكية هي التي كانت تحارب ضد مبدإ الطلاق وعليه

فهي التي تحملت هذه الضربة العظيمة

« فالشرائع الالهية قد تطأطأت خاضعة للشرائع البشرية

« فالحزب الكهنوتي قد انتصر ظافرا في المجلس الملكي في ٨ ايار عام ١٨١٦ لكنه تقهقر مغلوبا امام مجلس النبلاء الجمهوري في ٣٠ ايار سنة ١٨٨٤

« ان انتصار العقل على الاختراع الديني لجلي باهر

« فاقتراع مجلس النبلاء هو فعل عقل سام وعدالة سنية لانه بالخصوص دليل على الميل لانتهاج سبيل لا تقوى فيه على الثبات انقسامات الراي العام المختلفة قابضة على راية الحرية (المسونية)

« فالطلاق اذن هو فعل حرية . وابطال الطلاق كان ابطال حرية

« فالمسالة اذن ليست فقط الفية ولا مسألة حالة مدنية محضة انما هي مسألة سياسية

ذلك ذن اخذ تأثر دوة من كنيسة تخ

بامر خصوصي من المحفل

ونيابة عن كاتم الاسرار

ارنول

فعليك الان بوزن القضايا الثلاث المذكورة بميزان عقلك الثاقب وهي

اولا ان الشرائع الالهية قد تطأطأت خاضعة لشريعة البشرية ثانيا ان انتصار العقل على الاختراع الديني جلي باهر ثالثا ان الطلاق هو فعل حرية

في القضية الاولى يعني ارنول سقوط شريعة الله وانتصار الارادة المسونية على الارادة الالهية لكن تبا له من احمق غبي أيتصور بان ملك الملوك يمكن ان ينزل من عرشه او يجبر على الاستقالة كأنه ملك زمني لا غير

ان الله هو خالق الانسان والانسان مهما صنع لا يزال في قبضته تعالى القادرة في كل لحظةٍ ان تلاشيه او تعاقبه على غوايته . فقد قال عنه ايوب الصديق « يأخذ باطراف الارض فينفض المنافقين عنها (١) » كما يُنفض الغبار عن الثوب

وفي القضية الثانية ينعت هذا الاخ السوني الديانة بانها محض اختلاق وبالنتيجة هي اسم بلا جسم ولهذا السبب يبددها نور العقل كما تبدد الشمس الظلمات والهواء الدخان او البخار الرقيق . غير ان كنيسة الله الحقيقية لن تتزعزع ما دام الله الهاً بل تواظب على ان تؤدي له العبادة الواجبة لان ابن الله المتأنس قد تنبأ ان ابواب الجحيم لن تقوى على كنيسته

وعليه فكنيسة يسوع المسيح لا تبرح واقفة قوية متسلحة ضد الضلال ونرى ان لها على رأسها حبراً شجاعاً يصادم السونية ويهتك الحجاب عن مآربها القبيحة ودسائسها المشؤومة فعبثاً اذن يفتخر السوني ارنول ورفقاؤه معلنين امامهم بالظفر وينادون بانتصار العقل البشري على الديانة

وفي القضية الثالثة يدعي ان الخلاق هو فعل حرية فلا شك انه فعل حرية ولكن ما هذه الحرية اذ هي الحرية الحقيقية اما الانسان الخليقة العاقلة فلا يمكنه اذا اتبع منهج العقل القويم ان يتشبث بالبهيمية فان حريته مقيدة بالعقد الزوجي الذي يلزمه بعدم خرقه اقله كسائر العقود والمعاهدات

فالزواج المسيحي قد نظمته الشريعة البيعية التي لا يجب حفظها اقل من حفظ الشريعة المدنية فالكنيسة تقول للنصارى المتزوجين مع مؤسسها الالهي

---

(١) الفصل ٣٨ العدد ١٣

ما جمعه الله لايفرقه انسان (متى ١٩: ٦) . ومع رسول الامم: فان المرأة التي تحت امر رجل هي مرتبطة بالناموس برجلها ما دام حياً . فان مات الرجل برئت من ناموس الرجل . فمن ثم ما دام رجلها حيّاً ان صارت لرجل آخر فانها تدعى زانية . وان مات رجلها فهي حرّة من ناموس الرجل حتى انها اذا صارت لرجل آخر فليست بزانية (رومة ٧: من ١ الى ٣) . ومن حيث ان السيد المسيح قال ان الرجل يترك اباه وامه ويلزم امرأته فيصيران كلاهما جسداً واحداً فمن الواضح من المثال الذي اطلقه بولس الرسول على الامرأة يطلَق على الرجل ايضاً على حدٍّ سوى لان الرجل والامرأة ليسا اثنين بعدُ لكنهما جسدٌ واحدٌ كقوله تعالى (١) وعليهِ لهما حقٌّ متساوٍ والزام متساوٍ على الاطلاق ومن ثم لا يسوغ الطلاق للرجل كما لا يجوز للمرأة بل يكون هو ايضاً زانياً اذا صار لامرأة اخرى ما دامت الاولى حية

٧ مما يقضي بالعجب العجب الذي تحار عنده الالباب ان الماسونية من جهة تطري حرية الانسان تجعله مستقلاً ومهيجاً للثورة والعصيان ومن جهة اخرى تنكر عليه الحرية الحقيقية لتعتقه من كل نتائج المسؤولية

فهي تعزي الحرية طوراً مفرطاً وبناء عليه اعلن لنا الماسوني راكون ان الناس يولدون ويبقون احراراً ومتساوين في الحقوق وان هذه الحقوق الجوهرية طبيعية وممتنعة الانفصال: المساواة والحرّية

فهذه المبادي حقيقية من بعض الوجوه لكن الماسونية تستخدمها لاستخراج نتائج وخيمة لانها تستنتج

---

(١) (متى ١٩ : ٦)

اولا : أن لا احد من البشر مسونيًا كان او غيره له الحق بان يشرح كنه الطبيعة عمومًا وطبيعة الانسان خصوصًا وان يستخرج منها شرائع وتعاليم يرسمها على سائر البشر وكل من استعان بسلطة الهٍ ايًا كان ليرسم شرائع وتعاليم على الناس فهو كاذب خداع (١) ومن ثم يكون جائرًا ومتعديًا على الحقوق الجوهرية والطبيعية المختصة بالانسان وابن الوطن .

ثانيًا : ان كل انسان لما كان بطبيعتهِ وذاتيتهِ حرًا ومساويًا لسائر الناس وملتزمًا بحفظ هذه الحرية وهذه المساواة كان لا يمكنه الخضوع لاي انسان كان بدون ان يرتكب الجور على طبيعتهِ ويسومها الذل والهوان . واذا خضع لآخر بقوة عهدٍ ما فهذا العهد باطلٌ من ذاته

ثالثًا : ان كل انسانٍ هو مطلقٌ غير متعلق باحدٍ مما سواهُ من البشر وهو معتقٌ من كل الزام ومن كل خضوع تفرضهما عليهِ السلطة المدنية والسلطة الروحية والسلطة الابوية

ولذا قد اعلنت المسونية « ان التمرد والثورة اقدس كل الواجبات »

ولهذا ايضا قد دست المسونية اصابعها في جميع الثورات التي دمرت اوربا في الاعصر الاخيرة

ولهذا اخيرا حلفت المسونيـــة انها نعمل ابدًا على ثل عروش السلاطين وتدمير هياكل الدين

أهذه اذن أدبية المسونية !. . . أهذه الذي تناط بها آمال تقدم الالفة و لانسانيـــة !. . فليتـــأمل ذوو الابصار !. .

---

(١) تاليف راكون في القسم الفلسفي الصفحة ٣١٣

٨ وقد قلنا ان المسونية مع ذلك كله تنكر على الانسان الحرّية الحقيقية فاليك ما يؤيد ذلك بالبرهان :

قال المسوني هلفيتيوس : ان الرجل ذا العقل يعرف أن النـــاس هم كما يقتضي ان يكونوا وان الانسان الاحمق يأتي باعمال حماقته كما تأتي الاشجار البرية بالاثمار المرّة فمثل من يشتمه ويحقره كمثل من يلوم شجرة السنديان لانهـــا حملت بلوطا بدل الزيتون . . . . فرداءة البشر هي الثمرة الناتجة ضرورةً عن التسلسل العام » (١)

افلا ينتج من هذا الكلام ان الانسان ليس باكثر حرية من النبات وانهُ يفعل الخير او الشر كما تعمل الاشجار اثمارًا صالحةً او رديئة ؟ وعليهِ يكون الانسان لا يتحمل المسؤولية عن حسن او قبح اعماله كما ان الشجرة لا تتحمل مسؤولية عن جودة او رداءة الاثمار ففي كلا الامرين كلٌ يتعلّق بالطبيعة

٩ وكتب المسوني ديدرو ما يلي :

« ان الالفة ليست الا آلة عجيبة تتحرك من ذاتها فيها كل شيء موزون وكل مقدر كدواليب متشبكة وموازين معادلتها وزنبرها ومعلولاتها » (٢)

ومعناه يقول ان الالفة ساعة كبيرة اذا ديرت ونظمت جرت ضرورة ودقت بالساعات في وقتها . فهذه الساعة تعمل بحسب تركيبها والانسان يعمل بحسب استعداد وميل طبيعته فليس لواحد منهما مزية على الآخر لا في الحرية ولا في الاستحقاق

---

(١) في كتابه الأدبية العمومية في روح الصفحة ١١٤ و ٥٩٩

(٢) كتاب شرائع الطبيعة الصفحة ٢٥

ويضيف ديدرو الى ذلك قائلاً « في النظام ان النار تحرق وفي النظام ان الشرير يؤذي الغير لانه مطبوع على الأذى . . . وايضاً ان التمييز بين الانسان الطبيعي والانسان الأدبي المتبع اليوم من اغلب الفلاسفة ليس مستنداً الا على تقديرات مجانية »

١٠ فلنسمعنّ ايضاً ما يقول المسوني دالمبر :

« يقدّر للانسان الذي فيهِ احدى الرذائل وجود حرية تجعله في عيوننا مذنباً فالرذيلة عموما انما تحاسب بها الطبيعة فيكون الانسان وهو جبان او محب الشهوات او غضوب او بالجملة خالع عذار الحياء اقدر منهُ وهو احول أو احدب او اعرج . . . فأنت اذا رأيت اعمى مسّتك عليهِ الشفقة فما الشرير اذن ؟ ان هو الّا رجل حسر بصره فلا يرى ما وراء النقطة التي يعمل فيها » (١)

١١ وقال المسوني لا متري « لو كان الانسان فيلسوفا لكان عرف ان الارادة هي محدودة ضرورة واني اذا كنت في الصباح فاضلاً وفي المساء فاسقاً فان دمي هو الفاعل في كل شيء وان كرتوش (احد اللصوص المشهورين) قد خلق ليسرق خفيةً كما خلق بيروس (فاتح معروف) لينهب علانيةً . . . »

وقال في موضع آخر « حين اصنع خيراً او الشر . . فان دمي هو علة ذلك الفعل بل علته هي ما يجمد دمي او يوقفهُ او يذوبهُ او يجدده . . . » (٢)

١٢ ولنختمنَّ هذه الشهادات بما قالهُ المسوني العظيم فولتير الكافر :

« نحن آلات أصدرت في كل زمانٍ بعضها بعد بعض بالمهندس الاولي

---

(١) كتبهُ دائرة المعارف في الكلام عن الرذيلة

(٢) لامتري في كتابه : لانسان الآلة :

الات صنعت كسائر الحيوانات لها الاعضاء والوظائف نفسها والاحتياجات بعينها واللاذ نفسها والاحزان عينها » (١)

وقال ايضاً « كل شيء يصنع بشرائع غير متغيرة وكلٌ منظم وكل هو معلول ضروري . . . فالاجسام الثقيلة تنجذب نحو مركز الارض »

١٣ لا شيء يكشف لنا طبيعة الادبية المسونية احسن من العبارات الاتية التي كتبها احد المسونيين المتستر بلقب « فان دكس » (منتقم) الكاذب الى مسوني آخر متستر مثله بلقب « نوبيوس » قال :

ان الكثلكة كالملكة لاتخف بداً من حرب مسنونة حادة الّا ان هذين الركنين المستند عليهما النظام الالهي يمكن هدمهما واسقاطهما تحت ضربات الفساد . فلا نكتنّ اذن عن ان نردع الفساد . . . لا نقتلنّ الناس بل فلنعممنّ الرذيلة بين جماعات ولندخلنها بالحواس الخمس ولتشربنها ولتشبعنه . . . . لنشئ قلوب فسقة فلن تروا كثوليكيا واحداً . . . ففساد العموم هو الذي نقصده فساد اي الشعب بالاكليروس وفساد الاكليروس بنا . ان فسادهم الذي يفضي بنا يوما الى ان ندفن الكنيسة في قبر . وقد سمعت متأخراً احد اصدقائنا يضحك ضحكاً فلسفيا من مقاصدنا ويقول لنا « لهدم الكثلكة ما يقتضي ولّا الشروع بالغاء المرأة » فكلامه صادق من وجهٍ لكن بما اننا لا نستطيع الغاء المرأة فنفسدنها مع الكنيسة « لان الشيء الاحسن اذا فسد فسده عظم شراً » وحسن خنجر لطعن فؤاد الكنيسة انما هو الفساد

(١) فولتير : مبدأ العمل : العدد ١١

فهيَّ اذن على العمل حتى المنتهى » (١)

وما هذا الكلام بقول مسوني بسيط او مسوني مفسود يتوق ان يلقح بفساده جسم الجمعية دأب الكلب بل الرجل الكلِب الذي يشتهي ان يعض جميع الذين يدنون منهُ وينفث فيهم السم الذي يحرقهُ ويلتهم احشاءهُ انما هذا كلام احد اعضاء المحفل المسوني الاعلى وأحد الرؤساء الخمسة او الستة غير المعروفين الذين يديرون دولاب المسونية في كل اقطار العالم والذين هم وحدهم يعرفون الغاية الحقيقية التي تقصدها المسونية . فهذا المسوني المتنوّر بلوغًا لهذه الغاية قد حكم بان فساد الشعب وسيلة فعَّالة اعظم من الخنجر نفسه بل هو افعل الوسائط واوكدها

هذه اذن الادبية المسونية الحقيقية فهي نقيض كل ادبية نعني « الفساد والافساد »

١٤ وقانا الله من ان نبسط لقرائنا الترتيبات والخدم الطقسية التي تستعملها المسونية عند قبول النساء وتسميها باصطلاحها الخدَّاع « فتح باب الفضيلة » ولا ريب في ان كل عاقل يعرف بسهولة كنه طبيعة هذه الفضيلة والى اين يقود هذا الباب من افضت به تعاسة حظه الى الدخول فيه لعمري ان هذا الباب ليس بذاك الباب الضيق المؤدي الى الحياة الابدية حسب قول السيد له المجد

ووقانا الله ايضًا من ان نشرح خبر تلك الملاهي السريّة اي الفواحش والقبائح التي كان استعمالها جاريًا في المحافل المسوية الهيكلية في فرنسا والمانيا

(١) كتاب كرتينوجولي المعنون الكنيسة الرومانية بازاء الثورة جزء ٢ الصفحة ١٢٨ و ١٢٩

في القرن الثامن عشر

الا انــا نجتزئ بالالماع الى اي حد بل الى اي افراط تبلغ المسونية في نشرها بين اعضائها رذيلة الكبرياء التي هي رأس كل الرذائل وينبوع كل خطيئة كما شهد الروح القدس نفسه. فمن جميع الخطابات المقولة عند قبول الدرجات يتحصل صريحًا ان المسوني يقتضي عليه ان يعد نفسهُ وحيدًا في امتلاكه النور والحقيقة والمعرفة وانهُ هو وحده الرجل القديس المتقدم على غيره البــالغ مقام الانســانية الطبيعي الاصلي . والمسونيون في ذلك متفقون مع الهراتقــة الغنوسطيين اي انهم القدماء الذين كانوا يعدون نفوسهم فوق جميع البشر

وقد جاءت احدى الجرائد المسونيــة على تلخيص هذا الروح بالعبارات الآتية

« ان المسونية مملكة المعرفة العظمى تتوقى فيها جميع الابحاث العلمية الحرية وبها متعلقة فالاخوة (المسونيون) الذين بالبحث والتنقب يبلغون الى درجة المسونية بنوع مطابق لجوهر جمعيتنــا هؤلاء يستحقون ان يسموا آلهــة الارض (١) »

فقد جاء عن لويز موسس البروتستانية انهُ قال « ان جميع المسيحيــين كهنة » . ثم ورد عن احد مؤسسي شيعة المنورين انهُ اكّد « ان جميع الناس ملوك » . وها نحن اذ نرى المسونية بلغت قمة هذا الارتقاء الكبرياني بقولها « ان جميع المسونيين آلهة » . . . قد صدق حق قول الشيطان الناطق بفم الحية

---

(١) المجلة المسونية Revue maçonnique في شهر تموز سنة ١٨٥٠ الصفحة ٢١٦

لابوينا الاولين « ستصيران كآلهة (١) »

فهذه الكبرياء الشيطانية تبين لنا جليًّا مبدع المسونية الحقيقي وتثبت ان البابوات قد صدقوا باطلاقهم عليها كلمة القديس يوحنا البشير « مجمع الشيطان » .

وبالحقيقة ليس الّا الشيطان ذلك الملاك الساقط والمتجرف المقهور يستطيع ان يمقت ويحارب يسوع المسيح وكنيستهُ كما ان المسونية تبغضهما وتحاربهما منذ نشأتهما

وكثيرون من المسونيين لا يفهمون هذا فهم على ضلال مبين لان كل مسيحي يدخل في المسونية يفرّ من تحت راية المسيح لينتظم في سلك المنضمين تحت لواء الشيطان عدوه الالد

١٥ قال ديشان في فاتحة الفصل الرابع من المجلد الاول من كتابهِ «الجمعيّات السريّة والألفة» (٢) مايلي :

« ان الانسان ليس بالذي خلق نفسهُ فهو متعلق بالذي خلقهُ ويحفظهُ كل ساعة فلا يقدر اذن ان يتصرف شرعيًّا بجسدهِ واعضائهِ ولا بنفسهِ وقواهُ الّا بحسب اوامر ومشيئة الله الذي اوجدهُ كما هو

« فقد اجمع اول الكتب وجميع التقاليد القديمة على ان الله منذ البدء خلقهُ رجلًا وامرأة فقد صنع امرأةً واحدةً لرجلٍ واحدٍ وقال: يترك الرجل اباهُ

---

(١) كتاب الفرنماسون واليهود او عصر الكنيسة السادس حسب الرؤيا للكونت دي سنت اندره الصفحة ٦٣٦ و ٦٣٧

(٢) الصفحة ١٧٩ و ١٨٠

وامهُ اذا قضت الحاجة ويلزم امرأتهُ فيصيران جسدًا واحدًا وماجمعهُ الله لا يفرقهُ انسان. ثم حرّم على الرجل والمرأة العزبين ارتكاب الفسق وعلى الرجل والمرأة المقترنين اجترام الزناء والفجور وكذلك في معاملاتهما الحبية منع عنهما كل عملٍ مناقض لغاية اقترانهما وحجر على كلٍ منهما اشتهاء امرأة او ابنة قريبهِ او بعلهِ او ابنهِ وجعل الموت الابدي عقابًا لكل نوعٍ من العهارة

« فمن أنعم النظر قليلًا في احوال العائلة الجوهريّة وفي مساواة الرجل والامرأة غالبا نظرًا الى العدد وفي الاحتياجات الطبيعية او الادبية التي تتجدد دائمًا وتكاد تكون متبادلةً بين الزوجين واولادهما اقتنع حالًا بضرورة الزواج حسب الوحي وبكل ما يوجد من الموافق والراسخ والالفي والسامي في الوصايا الالهية التي في الشريعتين العتيقة والجديدة »

فمن البيّن ان الزواج هو ركن العائلة فالذي يضاد شرائع الزواج الطبيعية والالهيـة والمدنية يزعزع اركان العائلة ويعدمها أعظم منافعها واجلّها

والحال أن الادبية المسونية نقضت اول شريعةٍ من الزواج المسيحي اي عدم انحلاله وذلك باعلانها سواغية الطلاق وظلم اقتران الزوجين غير المنفك أو بالحري بمناداتها ببطلانه المطلق وقد بسطنا الكلام عن ذلك سابقًا لكن نقول الان : يقتضي افراد كتابٍ برمتهِ لتعداد وتبيان شيء من العواقب الوخيمة المتولدة عن الطلاق اذا كان مبـاحًا لكلٍّ ان يستعملهُ بدون تلطيخ شرفهِ وسمعتهِ باقذار العار والهوان . فايُّ انسـانٍ لا يرى تلك الحالة التعيسة الشقية التي يصيبها الاولاد الاحداث اذا جاء سيف الطلاق وفرّق بين والديهم وحرمهم من عناية امهم ورماهم في أيدي امرأة غريبة لا يحبونها ولن تحبهم وربما طلقت ايضًا كما طلقت امهم فلا تكون في عيونهم زوجة أبيهم بل خادمتـهُ وأدنى.

فليتأمل الوالدون المسيحيون ويدركوا ما اضرَّ الطلاق واقع عدمهُ على الاقلّ للبنين والبنات

١٦ الّا ان المسونية لا تنقض العائلة من هذه الجهة فقط

فلنسمعنَّ ما كان يكتبهُ اليهودي المسوني المتستر بغير اسمهِ بيكولو تيكري (اي النمر الصغير) في ١٨ كانون الثاني عام ١٨٢٢ :

« ان الامر الجوهري انما هو افراد الرجل عن عائلتهِ وافساد اخلاقهِ . . . فاسحبوه وجرُّوهُ وبعد ان تكونوا فصلتموهُ عن امرأتهِ واولادهِ وبينتم لهُ مشاق ومصاعب الواجبات البيتية وسوسوا اليهِ ان يتمنى عيشةً غير عيشتهِ واذا توصلتم الى ان تشربوا بعض النفوس روح السأم من العائلة والديانة (والديانة تكاد لا تنفصل عن العائلة اي لا يقوم احدهما بدون الاخر) فاطرحوا بحضرتهِ بعض الفاظ (تحبب اليهِ المسونية) تدعوه الى الانخراط في مصاف المحفل (المسوني) الاكثر قرباً » (١)

فلا ريب في ان تعليمًا كذا لا يمكن ان يوحيهُ الا الشيطان بعينهِ لان اي شيء يا ترى اتعس وارداُ من ان أَب العائلة يفترق عن امرأتهِ واولاده ويسأمهم ليطلب لنفسهِ الفةً وعيشة غير الالفة والعيشة البيتية . أفلا يلتزم هذا الاب قبل كل شيء بمؤالفة امرأته واولاده المطلوبة منهُ سعادتهم وراحتهم

تلك اذن ضربةٌ عظيمة تنزل بالعائلة بفصل الاب عن امرأتهِ وبنيهِ وحملهِ على سآمتهم لكن ان هي الّا غاية المسونية وجل متناها

١٧ وليس هذا بالحد الذي تقف عندهُ المسونية فان المسوني هلفيتيوس

(١) الكنيسة الرومانية بازاء الثورة المجلد ٢ الصفحة ١٠٤ و ١٠٥

قد كذَّب صدق المحبة الابويَّة ونسب هذه المحبة التي تصدر من قلب الطبيعة نفسهِ الى علل يحوجنا الامر الى جوذيل الصمت عليها لكن مرجعها الى محبة الذات الممقوتة .

وقال ايضاً في محلٍ آخر ضد المحبة البنوية :

« ان الوثاق الذي يصل البنين بالآباء لهو اقل قوةً مما يُظن ... فان الوصية الآمرة بمحبة الوالدين تثبت ان محبة البنين هي اقرب الى فعل العادة والتربية من فعل الطبيعة » (١)

واليك الآن ما قال المسوني ديدرو عن الحنو الابوي في كتابهِ في الادبية الشاملة :

« يعتبر الحنو الابوي كعاطفة غريزية وكانهُ ملازم للدم لكن يكفي التمعن ولو يسيرًا للانتباه الى هذا الوهم الملاّق

« وسلطة الاباء على البنين ليست مؤسسة الّا على المنافع التي يُظن تحصيلها لهم بها »

وزاد على هذا المسوني رينول بان قال

« ان هذه السلطة تزول حين يتمكن البنون من القيام باود معيشتهم » (٢)

والمسوني دالمبر يؤيد هذا التعليم الفاحش بقولهِ :

« من المقرر ان خضوع البنين لا يجب ان يدوم الّا في الوقت الذي

---

(١) في كتابهِ على الروح الخطبة ٤ وكتابهِ عن الانسان الفصل ٨

(٢) مذهب الطبيعة . التاريخ السياسي والفلسفي الكتاب ١٨ العدد ٤٢

يكون هؤلاء في حالة الجهل والاحتياج » (١)

وكذلك المسوني المنوَّر ويسهوبت جرى على مثال هؤلاء باعلانهِ :

« ان السلطة الابوية تزول حين يبلغ الولد اشدهُ فاذا ادعى الاب تجاوز حقوقهِ الى ما بعد هذا الحين فذلك اهانةٌ لبنيهِ » (٢)

١٨ ولا ريب في اننا نحمل قراء البشير على الاندهال كثيرًا باخبارنا اياهم ان المسونية لم تستطع ان تسدَّ دون النساء ابواب محافلها ولا بدع فان ذلك لمن العجب العجاب لان الجمعية المدعية أنها سرية والتي عندها حقيقة بعض أسرار تبوح بها لاعضائها من دأبها ان لا تغلق فقط ابوابها بل ونوافذها ايضًا في وجه النساء اللاتي يشقُّ عليهن كتم السرّ طبعًا

لكن اذا كان عند المسونية حجج تصدها عن ادخال النساء في المحافل فلديها ايضًا ما يحملها على قبولهنَّ وبيان ان حجج القبول رجحت قوَّة على حجج الرفض فانشأت المسونية لذلك المحافل التي يكون فيها النساء مختلطات مع الرجال

١٩ فهاك ما جاء عن هذه المحافل المختلطة بقلم العلاَّمة الشهير السيد غستون دي سكور في كتيبهِ الذهبي المعنون « المسونيون ما هم وما يعملون وماذا يبتغون » الصفحة ٨٤ و٨٥ قال :

« توجد مسونياتٌ حرائر (فرنش ماسون) كما يوجد مسونيون احرار (فرنماسون) وذلك مما يحير العقول لان الغرض الاول (في المسونية) كتم السرّ

---

(١) في كتابهِ دائرة المعارف . فصل الاولاد

(٢) كتابات اصلية المجلد ٢ الجزء ٢

لكن يتبيّن ان المسونيين يثقون « بالنساء حتى انهم يعتبرونهنّ اعتبــارًا عظيمًا » ولهنّ يحكمون باستحقاق زوج الكفوف الذي يعطيه لهنّ المحترم (رئيس المحفل) رسميًا

« وهذه المسونية الانثوية يظنُّ انها ابتدأت نحو منتصف القرن الغابر وكان لويس فيليب (ايكاليته) يومئذٍ دوق اورليان ورئيس المسونية الاكبر قدّم زوج كفوفهِ الى السيدة دي جانليس وانجح انجاحًا خارق العادة المسونية الاندروجينية (اي التي فيها رجال ونساء) . فحبُّ الفضول وجاذبية اللذة واضحًا جاذبية الامر المجهول وروح عدم الاكتراث بالديانة وجاذبية الثمرة المحرمة ذلك كلهُ قد جر الى المسونية جميع النساء التائقات الى الحرية وكان لنكد الطالع عدد وافرٌ من أُسرات الشرفاء . وذلك معروف من الرسالة التي كتبتهـا الملكة التعيسة مريم انطونية الى اختها الملكة مريم خريستينيا بتاريخ ٢٦ شباط عام ١٧٨١ اذ قالت : انكِ تفرطين جدًّا في الخوف من المسونية ... فهنـا الجميع من اعضائها . . . وفي هذه الايام الاخيرة انخبت الاميرة دي لمبال (١)

---

(١) ان الاميرة دي لمبال كانت من سلالة دوقية سافوية كارينيان وكانت متزوجة بالبرنس دي لمبال من سلالة آل بربون الملكية فهي وان كان دوق اورليان المذكور اعلاه قد جرّها الى المسونية فلم تنقض عهـد الامانة للاسرة الملكية التي كانت كلفة بها ولهذا السبب هاج عليهـا المسونيون اهل الثورة وسجنوها في برج احد اديرة الهيكليين القدماء وقطعوا عنقها عام ١٧٩٢ كما جزُّوا بعدها رقاب الملك لويس السادس عشر والملكة امرأته واختهِ اليصابات

رئيسة كبرى على احد المحافل وقد باحت لي بكل الاقوال الظريفة التي قيلت لها » فويلًا وتعسًا لهؤلاء النساء المسكينات لان قد ابرمت عليهنّ من ذلك الحين الدسائس الآمرة بها الشيعة المسونية « ضد الامراء والمتعمقين بالعبادة »

« فهناك (اي في المسونية المختلطة) كما في مسونية الذكور لا تزاح الحجب عن الخفايا الّا وفقًا للمرام . اما الحكومة المغشوشة فلم تكن لتنيط ادنى اهمية بشركةٍ اشتهر عنها انها جمعية خير وانشراح لكن ذهلت عن ان وراء تلك الاجتماعات الانشراحية كانت ترتكب اعمال سيئة واسرار فحشاء فلم تكن هنا عبادة الانتقام كما في مسونية الذكور انما عادة الشهوة الشديدة الخطر والضرر المتسترة تحت حجب الطقوس السرّية والمختلطة بظلام الخفاء والمؤيدة بروح عدم الديانة الذي انبثّ كثيرًا في عصر فولتير

« والمسونيون المنتظمون في هذه المحافل المختلطة كان اسمهم « فرسان الورد » والمسونيات اسمهنّ « عرائس الورد » وهؤلاء الفرسان والعرائس كانوا يسلكون اثنين اثنين في جميع اعمالهم المسونية . وهيكلهم كان دائمًا مزهرًا مبهرجًا بالزينة وكانت حفلاتهم يرؤسها الرئيس الاكبر والرئيسة الكبرى ولم يكن ثم صوارم مسلولة ولا اطرٌ ورقية ولا كهوف قاتمة (كما عند المسونيين الذكور) بل كانت حينئذٍ اسفار هيامية وأيمان تقسمها الطالبة المسونية باظرف والطف الاساليب العالميّة لانها كانت تجلس على كرسي الرئيس الاكبر الذي يجثو امامها على ركبتيهِ كاعظم الحمق البهاليل . لكن اشدّ ما في هذا تاثيرًا عملٌ اسمهُ « سفر الى جزيرة السعادة » حيث نهاية طقس الدخول فهناك تقشع العصابة التي تستر عيني العروس (المسونية) فترى نفسها

بازاء مذبح (يا له من مذبح) ... وبازاء التماثيل او بالحري اصنام الزُّهرة وابنها كوبيدون (كلاهما من معبودات العشق والدنس عند الوثنيين) فتقدم بخوراً — طاهراً — لصاحب وصاحبة هذا المذبح »

هذا ولا نتعرض لذكر المآدب التي تولها وتحضرها الاخوات المسونيات بل نقول فقط ان المرأة التي تقبل الحضور فيها ان هي الّا حمقاء ضُحكة او رديئة مفسودة

٢٠ اما فيما يتعلق بقبول الاخت المسونية في درجة « المعلمة الكاملة » فاليك ما كتب عنهُ السيد دي سكور مفصلاً رسوم الرتبة قال :

يطلب منها قبل كل شيء اقسام اليمين التي تتقيدها في الشيعة كل عمرها وهذا نصها « احلف واعد اني اكتم بامانةٍ في قلبي اسرار المسونيين والمسونية والتزم بحفظها تحت عقاب التقطيع ارباً ارباً بسيف الملاك المستأصل »

فيعلن الرئيس الاكبر للحال ان هذه الاخت المسونية صارت « معلمة كاملة » ويوجه اليها هذه الكلمات « يا عزيزتي ها نحن ذا الان قد ادخلناكِ خبايا اسرار المسونية الرمزية وها ضوء الحق قد اضاء الان على اجفانكِ . فاضمحلت بهِ الاضاليل والخرافات والاوهام (اعني الايمان ومخافة الله) التي ربما كانت لا تزال محفوظة في احدى زوايا دماغكِ . فقد ترتب عليكِ من الآن وصاعداً بذل جهد صعب لكنهُ سامٍ (فلنتأمل باصغاء الى ما يلي) فاول واجباتكِ يكون بان تهيجي الشعب ضد الكهنة وضد الملوك فان كنتِ في منتديات القهوة او ملاعب التمثيل او قاعات السهر او في محل آخر فاعملي على اتمام هذه النية الكلية القداسة »

« اما الان فلم يبقَ الّا سرٌّ واحد لم اوصه لكِ فاقولهُ لكِ بصوت

مموس » ثم يبوح لها بان التتمة الفانية لخدمة المسونيــة المقدسة « ملاشاة كل سلطةٍ دينية وملكية » اه

فنتج من ثمَّ انَّ في ادخال النساء الى المسونية لامرًا عظيم الاهميــة لا من ملاحظــة جانب الآداب فقط بل ايضًا من اعتبار جانب الايمــان ومستقبل الكنيسة فان اصحاب المسونية يدركــون المنفعة العظيمة التي يحصلون عليها من النساء اذ يعرفون ان المرأة اذا انطلقت يومًا في طرق الكفر والانتقام فهي اكثر توحشًا واشد جرأة وثباتًا من الرجل وتبالغ في الفحش اكثر منهُ. فليس والحالة هذه وجه للانذهال اذا فرحوا وسرّوا بان النساء تنخرط في سلك شيعتهم واذا اذاعوا علانية ان « اقامة محافل النساء تقدمٌ سريع في طريق نجاح الانسانية » (١)

٢١ ان روساء المسونية لما عرفوا ان نساءً كثيرات يستحينَ من الاختلاط بالرجال في المحافل المسونية عقدوا العزم على انشاء محافل خاصة بالنساء واليك صورة هذه المحافل الممقوتة كما رسمها احد المسونيين من شيعة المتورين قال :

« ان للنساء على الرجال نفوذًا قويا جدًّا فلا نستطيع ان نصلح (وما كان اجدره ان يقول ان نفسد) العالم ان لم نصلح (نفسد) النساء ولكن ما العمل ان في الامر لعسرًا فان الامهــات المشربات الاوهام (العقائد الدينيــة) هل يرضينَ بان احدًا غيرهنَّ يتعاطى تربية بناتهن . لا لعمري . فعلينا اذن ان نبتدئ بالنســاء اللاتي ليس لهنَّ اولاد. ويرتئي هركول (وهو اسم مختلق لاحد

---

(١) هذه العبارة الاخيرة مأخوذة من جريدة Le Monde Maçonique في تشرين الاول سنة ١٨٦٦

المسونيـين) انهُ يقتضي ان تستخدم في ذلك امرأة بطليس لاكوس (اسم آخر مختلق) فليس لديَّ على هذا اعتراض وانا اعرض لهذه الغاية كنائني الاربع لانهنَّ مناسبات كل المناسبة بل ان كبراهنَّ قد اجتمعت فيها جميع الاوصاف المرغوبة فهي بالغة من العمر اربعًا وعشرين سنة وقد قرأت كتبًا كثيرة وهي فوق تلك الاوهام اما بشان الديانة فتفتكر كما افتكر انا. وكنائني هولاء الاربع لهنَّ صديقات كثيرات بين اترابهنَّ السيدات فمع هولاء البنات يمكن بسهولة كلية انشـاء جمعية (مسونية) صغيرة تديرها زوجة بطليس. لكن يقتضي لهنَّ شيء يسوسهنَّ ويحركهنَّ من نظام واحتفالات وأسرار الخ وهذا كلهُ يقتضي ان يطابق الغاية ويكون جذابًا لشمل النساء كترتيب الجمعية في خمس او ست درجات الخ . . . وعلى زوجة بطليس ان تتدبر وحدها مع بعلها وعلى كبرى كنائني ان تتفق معي بصفة وكيلة

«وهذه الجمعية تنقسم الى مرتبتين تنشئ كل منها فئـة واسرارًا على حدةٍ فالاولى تتألف من النساء الفاضلات اي الفيلسوفات اللاتي يسمـينَ مرتبةً على سائر النساء في شان الديانة حسب رأي أخينا مينوس . اما الثانية فتكون متألفةً من النساء النزقات الطائشـات ربات الشهوات لكن يلزم ان هولاء واولئـك يجهلنَ انهنَّ مسوسات من الرجال (فأين الصدق والحالة هذه ؟) ويقتضي ان تُقنع الرئيستان ان فوقهما محلاً رئيسيًا اكبر من جنس النساء يصدر اليهنَّ الاوامر التي يكون في حقيقـة الأمر مصدرها الرجال (يا لهُ من مكرٍ فظيع) اما الأخوة الموكول اليهم ان يسوسوهنَّ خفيـةً فيبلغون اليهنَّ التعليمات بدون ان يتظاهروا بانفسهم . فيقودون الاوليـات (الأخوات الفيلسوفات) بقراءة الكتب الحسنـة (كتآليف هلفيتيوس وجان

جاك روسو وديدرو وفولتـير ومن جرى مجرى هولاء المسونيـين الكفرة) والاخويات بتعليمهنَّ فنَّ قضـاء شهواتهنَّ سرًّا (١) » ويلي هذا الكلام عبارةٌ يصدنا الحيـاء عن الإباحة بهـا فنجتزئ بالتلميح ...

٢٢ فالحق يقال اننّا لا نقدر ان نثبت ان هذا الرسم الشيطاني المذكور قد اجري عمليًّا انما في ظننا ان ارباب المسونية قد امتحنوا اجراءهُ حقيقةً اقلهُ في المانيا لخبط مسعـاهم لان جمعيات هولاء النساء العاريات من الديانـة والفضيلة مثالها مثل مجتمعات الزنابير حيث لاهدوٌ ولا نظـام فلا بدَّ من ان هولاء النساء التعيسات يكون بعضهنَّ حاسدًا لبعضٍ وكلٌّ منهنَّ يروم ان يتولى على الاخويات ولا يخضع لاحد سواه

وكيف كان الامر فان هيئة المحافل المسونية المختصة بالنساء والمسوسة سرًّا من المسونيين والمقسومة الى فئتين كما سبق البيان توضح لنا ايضاحًا كافيًا تفاقم الفساد الذي في المسونية وما تبذلهُ هذه الشيعـة من الوسائط لافساد الالفة وتدمير الديانة التي هي وحدها تعلم طهارة الآداب وحب الفضيلة وكراهة كل امر رديء ومنكر

فماذا يمكن ان تكون يا ترى تلك المرأة المسونية ان هي الَّا خليقة مفسودة حتى مخ العظم معرَّاة من كل حيـاء وخجـل وخوف او بالحري هي اتعس الخلائق واحقرها بل قل انها شيطان متجسد

فهلمَّ ايها المسونيون بعد هذا هلموا وانبئونا عن أَدبيتكم تعالوا وقولوا لنا ان

---

(1) Cahiers, 2. Recueil. p. 169

وذكرت هذه الشهادة في كتاب اماند نوت المعنون « المسونية » المجلد ١ الصفحة ٣٣٦ و ٣٣٧

محافلكم هي مدارس فضيلة ،مدارس تستنير فيها ابصار الرجال والنســاء بالنور الحقيقي وضوء الحق فثقوا انا لا نصدق شيئاً مما تقولون بل نعتقد بالضــدّ ان محافلكم ان هي الّا مدارس الظلام والكفر والضلال مدارس الفساد وأبواب الجحيم وعليه فلن نفتأ نصرخ مع الكنيسة الرومانيــة المقدسة قائلين : ويلٌ للمؤمن الذي يدنو من هذه التهلكة ويتدهور فيها

الفصل الثالث

المسونية وتهذيب الاحداث

١ من المقرر انه كما ان الارض اذا اهملت بغير حراثة كانت عقيمة مجدبة على الاطلاق او لا تنبت الّا شوكاً وقرطباً كذلك الانسان العادم التهذيب العقلي والادبي غير مفيد للالفة بل هو مضرّ بها لانه من الجهة الواحدة لا تمكنهُ حالتهُ من ان يخدمها خدمة نافعة ومن الجهة الاخرى تحملهُ شهواته غير المروضة واطماعهُ التي لا تشبع على الاضرار بالناس اخوتهِ

والرجل العادم التربية والتهذيب مثلهُ مثل متوحش عائش بين اهل المدنية يُخشى دائمًا من اعمالهِ المنكرة لان غريزتهُ لما كانت كغريزة الوحش الضاري كانت تهيجهُ طبيعياً الى اساءة العمل والتلذذ بفعل الشر ولو كان فيهِ اذًى للآخرين ولهذا قال الروح القدس بفم سليمان الحكيم : وجه قلبك للتأديب واذنيك لاقوال العلم. لا تقصر في التأديب للصبي (١). وبلسان ابن سيراخ : ان كان لك بنون فأدبهم واخضع رقابهم من صبائهم (٢)

فعلم الديانة انما هو اول العلوم لانهُ اشرفها واشدها احتياجاً اليه او بالحري هو العلم الوحيد الضروري للخلاص الابدي بل هو الاساس المفرد لكل تهذيب حقيقي ولكل ادبية صحيحة لان المرء بدون الديانة يمكن ان يكون متصفاً بظواهر التهذيب والادبية لا بحقيقتهما

---

(١) الامثال ٢٣ : ١٢

(٢) ابن سيراخ ٧ : ٢٥

فلا عجب اذن اذا رأينا الكنيسة الكاثوليكية تفرض على معلمي ومعلمات الاحداث تعليم الديانة اي معتقد وادبية يسوع المسيح

ولذلك فلا بدع اذا شاهدنا المسونية تنفي من المدارس كل تعليم ديني وتجردها من تماثيل المصلوب وصور القديسين وتمنع ان يذكر فيها اسم الله وتدخل فيها كتبًا مفسودة يتعلم منها الطلبة اغلاطاً فظيعة انما من شأنها اضلال العقل وافساد القلب

في اوربا اليوم الوف من المدارس الرسمية حيث اقتلع منها كل تعليم ديني وليس فيها الّا معلمون ومعلمات بلا ديانة وهذه المدارس الكفرية لم تفتح على نفقات الذين يحبونها ويطلبونها فقط بل على نفقات الكاثوليكيين ايضاً مع انهم يمقتونها ويخافون منها وبما ان هؤلاء هم الاكثرون عددًا بين سكان فرنسا وايطاليا وبلجيكا الخ فيمكن ان يقال ان معلمي ومعلمات هذه المدارس تدفع رواتبهم من جيوب الوطنيين الذين لا يريدون بل لا يستطيعون بضمير مستقيم ان يسلموهم اولادهم للتعليم والتربية . ومن ثم ترى الكاثوليكيين الذين لا يرسلون اولادهم مجبرين على فتح مدارس اخرى على نفقاتهم فيتحملون والحالة هذه اوقارًا اقوى وابهظ ضعفين وثلاثة اضعاف خلافًا لمبدإ المساواة الذي ينادي بهِ الجمهوريون والمسونيون على روُس الملاء

ومن المعلوم ان المدارس التي بلا الهٍ انما هي عمل المسونية وحدها فقط

٢ كان في القرن الثامن عشر المسونيون فولتير وديدرو ودالمبر ولاشالوتاي عدوّ اليسوعيين الالدّ يصيحون طالبين بالحاح فتح مثل هذه المدارس . وفي التاريخ حجج دامغة لا ترد تشهر بان المسونية قد استفرغت جعبة حيلها في تدمير طغمة يسوع لتبلغ اربها من ملاشاة مدارسها العديدة الزاهرة والغاء

التعليم الديني الذي تعلمهُ فيها. فلما قلت هذه المدارس اسرعت المسونية وقد خلا لها الجو لاتباع منهجها الجهنمي بفتحهــا مدارس بلا اله ولا ديانة ومن هذه المدارس نشأت تلك الفئة الطاغية العاتية فارتكبت فظائع وقبائح ثورة سنة ١٧٩٣ والسنين التي وليتها تلك الثورة التي جرّت فرنسا بيدها الى جرف هاوية الخراب واهالت نابليون الكبير عينهُ ولو كان هو نفسهُ مسونيًّا

٣ ولئلا نعزى الى الكذب او المغالاة رأينا من اللازم اللازب ان ندعم مقالتنا هذه ببعض شهادات ننقلها من كتب المسونيين انفسهم

في عام ١٨٦٣ اصدر محفل انفر المسوني الاعلان الآتي :

« ان تداخل الكاهن في التعليم كانه ذو تسلّط ونفوذ يلاشي عمل المعلم بالرغم عنهُ ويعرقلهُ ويعدم الاولاد كل تعليم ادبي ومنطقي وعقلي. وتدريس التعليم المسيحي هو اعظم مانع يصد نمو وترقي قوى الولد فان العقل البشري اذا تحرر من هذه الاوقار التي تضلهُ كان اكثر صدقًا واستقامةً وادبًا »

٤ ومحفل لياج كان يعدّ الشرائع المسنونة للتعليم عمومًا قبيحةً مفسدة « لانها تمنح نفوذًا مشؤومًا لخدمة ديانة وضعيــة نفوذًا يقصد غايةً مضادة على خط مستقيم لغاية الحرية »

اما محفل نامور قد زاغ عن محجة الانســانية واكتفى بان يفعم تقريرهُ بمطاعن وحشية ضد خدمة الدين وضد الديانة وعندهُ ان الادبية ليس لها ادنى اشــتراك مع الكثلكة واضاف الى ذلك ان قال « ان من خصائص التعليم الالزامي ان لا يهتمّ البتة بالديانة بل ايضًا لا يتعاطى بالادبية »

٥ وقال محفل لوفان « يشق علينــا ان نذكر النفوذ القتّال الذي للديانة الكاثوليكية على تقدّم ونجاح عقول الاكثرين . فالبروتستانية قد ادركت

احسن من الكاثوليكية كيف يقتضي ان تكون ديانةٌ ادبية قريبة من الانسانية. فالفقر والجهل مؤسسان على الانجيل »

٦ وهاك بعضاً من بنود الشريعة التي سنها محفل الشرق العظيم بشأن التعليم الالزامي والمدارس الكفرية

« ١ً تقتضي الزام الاب او الام الارملة بجرّ اولادهما قسراً الى المدرسة

« ٢ً يجب نفي كل تعليم ديني

« ٣ يلزم كتابة اسم كل من الوالدين الذين لا يأتون باولادهم على لوح يعرض جهاراً على واجهة دار الحكومة

« ٤ً اذا امتنع الوالدون مرة اخرى فرفضوا جرّ اولادهم الى المدرسة يغرمون بدفع جزاء نقدي لا يتجاوز مائة فرنك فاذا أبوا دفعهُ يحكم عليهم بالاشغال الشاقة من يوم واحد الى ثلثين يوماً لمنفعة البلد او بالسجن من يوم فرد الى خمسة ايام

« ٥ً وان لم تنجع هذه الوسائط فآخر وسيلة ان يفصل الولد عن تدبير والديه

٧ وفي ٢٦ كانون الاول عام ١٨٦٤ عقد محل انفر المسوني اجتماعاً عمومياً التأم فيهِ مائتان واربعون مسونيًا وفدوا اليهِ لينوبوا عن جميع محافل بلجيكا وكان من جملتهم المسوني فان همبيك الذي كان يومئذٍ رئيساً لمحفل في بروكسيل اسمهُ « اصدقاء الاتحاد والتقدم » هذا قد انبرى بينهم خطيباً ونطق بالاقوال التالية التي قوبلت من الجميع بالتصفيقات وضجات الاستحسان وهي :

« بينا انا غارق في مهام الاشغال اخذت افكر في كلمات فاه بها شاعر مفلق في احدى تلك الايام ايام اليأس والقنوط اذ قال :

« لقد اتهموا الثورة بانها احتفرت هاوية فهي تهمة باطلة لان الثورة لم تحتفر هاوية بل حفرت قبرًا حفرة لتدفن فيه جثة الزمان الماضي »

« فما يطلق حقيقة على الثورة انما يطلق ايضاً على المسونية التي لم تكن الثورة الّا صورتها الدنيوية

« نعم ان في العالم لجثة تسدُّ سبيل التقدم هي جثة الماضي واذا اردنا ان ندعوها باسمها الحقيقي فهي الديانة الكاثوليكية

« بلى ان الكثلكة لهي جثة لا من حيث بعض قواعد ادبية سامية تشترك بمبادئها مع سائر الطوائف النصرانية وتختلط بمبادئ الادبية العمومية بل من حيث عقائدها المغتصبة التي تعرقل حرّ الضمير دائمًا ولا تأذن للمرء ان يفتكر الّا بواسطة الكاهن. لهي جثة بذاك الترتيب الذي تتحد اعضاؤه اتحادًا بكر بواسطة احبار حذاق لغاية سيادة عامة. هذه هي يا اخوتي الجثة التي عاينّاها اليوم امامنا

« واذا لم نكن دفناها بعدُ في القبر فقد زحزحناها على الاقل وأدنيناها منهُ بعض خطواتٍ

« فهذه نتيجة كبرى ونحن مديونون بها الى اخوتنا الانفريين فنبثهم عنها شكرًا حميماً مسونيًا »

٨ ان الكنيسة بالمعمودية والتعليم المسيحي ومناولة القربانة الاولى تجعل بنيها مسيحيين وتضع اساسًا لحياتهم الروحية. اما المسونية التي هي ضد الكنيسة فلا تحبها هذه كلها على الاطلاق بل قل انها تريد ان تقلع هذا الاساس المسيحي وتضع موضعهُ اساسًا مسونيًا مباينًا على خط الاستقامة للنصرانية. فهي تجتهد اولًا بان تسم بميسمها المسوني جميع الاولاد ·لاحداث وعندها رتبةٌ للتبني

تكمل « بشروق النور المسوني » وتقول للولد الذي تتبناهُ « ليضئ النور المسوني على عينيك كما نجعلهُ فيما بعد يبعث اشعتهُ الى عقلك » (١) فكما ان الولد المعمَّد يصير نصرانيًّا وعضوًا من الكنيسة كذلك الولد المتبني يصير جرو ذئب اذا كان صبيًّا وجروة اذا كان فتاة وعضوًا من المسونية وهؤلاء الجراء اذا كانوا فقراء تحق لهم مساعدة الاخوة المسونيين

فاتفق يومًا ان احدى النساء الفقيرات وفدت على مستشفى في افينيون ومعها طفل متوعك المزاج جاءت تطلبهُ عند الراهبات شاكية لرئيستهنَّ حالها بانها غريبة البلد وطالبةً منهـا بعض العلاجات لابنها . فاخذت الراهبة تلاطف الولد واذا ايقونة صغيرة غريبة الزي رأتها في عنقهِ فسألت امهُ « ما هذه الايقونة » اجابتها هذه المسكينة « هي ايقونة المسونيين » فشرعت الراهبة تؤنبها على اقتناء هذه الايقونة مبينةً لها ان المسونيين شيعةٌ محرومة . لكن الامّ التعيسة الحظ اجابت على الفور : « اني اذا انطلقت بهذه الايقونة الى رئيس احد المحافل (المسونية) نلت على الاثر من الدراهم ما يكفيني مؤنة مواصلة سفري »

قال السيد دي سكور : « بيان ان الجراء المسونيين في ارباض باريس كثيرو العدد جدًّا بين اولاد مصاف الفعلة فتعسًا وويلًا لهؤلاء ... »

٩ على ان المسونية تحيط بالاولاد وتضمهم خصوصًا بالمدارس التي تفتحها على مشربها ولذا قالت جريدة العالم المسوني (٢) ما ترجمتهُ :

---

(١) الاخ راجون في رتبة تبني « الجراء »

(٢) Le Monde maçonnique في تشرين الاول سنـة ٥٨٦٦ (اي ١٨٦٦)

« يقتضي اعداد العالم الرجس (١) الى قبول مبادئنا . واني أرى ان التعليم الابتدائي هو الحجر الزاوي لبنايتنا . . . فهل يلزم الغاء التعليم الديني من اللائحة ؟ . . ان مبدأ السلطة الفائقة الطبيعة (أي الايمان) يحط الانسان عن مقامه . . . فاذن من اللازم اللازب الاسراع الى الغائه وسنعلم الحقوق والواجبات باسم الحرية والضمير والعقل وأيضاً باسم الضمانة المتبادلة اذ يقتضي ان المسونية تكون قالباً لسكب الالفة الحديثة ويجب عليها ان تربي اناساً احراراً وتنشئ مدارس ولا سيما للبالغين ومآوي للايتام . ذلك احسن واسطة لاذاعة وتعميم المسونية »

١٠ وهذه الاماني قد قبلها اولاً اكثر المحافل المسونية ثم ايدها واقرّها شرق فرنسا العظيم بمنشور اصدرهُ سنة ٥٨٦٧ الموافقة سنة ١٨٦٧ مسيحية وهذا المنشور اليك لمعةً منهُ :

لقد قرَّ الرأي ان (محفل) المشرق العظيم يكون مقداماً في عمل من شأنهِ تنشيط ونشر التعليم الابتدائي بافرادهِ في كل عام جوائز إما للمعلمين والمعلمات وإما للتلامذة . ثمَّ بانشائهِ عند سنوح الفرص مدارس ابتدائية ومدارس للشبان »

ثم يشرح هذا المنشور كيفية تنظيم العمل الذي تدبرهُ المحافل المسونية أو اللجان التي تؤلفها ويبيّن نسق الاكتتابات وضرورة بذل الغيرة واعداً ان الجوائز ودفاتر صناديق الاقتصاد يضاف اليها وسام عليه رسم الكتابة الآتية « من شرق فرنسا العظيم تنشيطاً للتعليم الابتدائي المقام باسم شرق (المدينة

---

(١) ويراد بالعالم الرجس عند المسونية كل من ليس مسونياً

الفلانية) ... »

وفي السنة التي وليت صدور هذا المنشور جُزم بفتح اربعين مدرسة ابتدائية مسونية في احياء باريس العشرين اي في كل حي مدرستان واحدة للصبيان واخرى للفتيات الحدثات

١١ واتماماً للعمل اعلنت الصحيفة المسونية الرسمية (١) « نشر كتاب لتعليم الادبية قريب التناول من الاولاد. وهو كتاب يعلمهم ان يصغوا لصوت ضميرهم احرى بهم من استماع صوت التقليد (أي احرى من الاصغاء للدين والكنيسة) وان يكونوا افاضل من حيث المبدأ (كأن النصاري غير فضلاء من حيث المبدأ) باقتناعٍ (كما لو لم يكن الايمان اعظم الاقتناعات حقيقة بل والحقيقي الوحيد) وبدون غاية منفعة ذاتية (كما لو كان الرجاء بالسماء والخوف من جهنم يمنعاننا عن عبادة الله ومحبتهِ بالاخلاص) » . والذي أَلَّف هذا الكتاب نال في شهر حزيران عام ١٨٦٧ جزاءً عنهُ خمسمائة فرنك

١٢ وفي تشرين الثاني من سنة ١٨٦٦ تأَلف من مسونيي الالزاس لجنة للتعليم في فرنسا اقتفاء لجنة العاملة في البلجيك منذ سنة ١٨٦٤. وهذه اللجنة من مبدإها الاساسي » ان لا تتحرى المنافع الخصوصية لاحد المذاهب الدينية» او قل بعبارة اخرى ان تلغي الدين على الاطلاق من التعليم والتهذيب . وقد تمكن الاخ المسوني ماسي اكبر الحركين على تأليف هذه اللجنة من جمع اشتراكات عديدة في شهر فردٍ وقد اعلنت جريدة العالم المسوني (في شباط ١٨٦٧) ان « المسونيين يقتضي عليهم ان يهرعوا افواجاً للانضمام الى هذه

---

(١) Le Monde maçonnique في كانون الثاني سنة ١٨٦٧

الجنة الخيرية وان المحافل يجب عليها ان تنظر في هدو هياكلها (كذا) في الوسائل الحسنى التي تجعلها فعّالة »

١٣ ان المسونية لم تقف عند هذا الحد بتأسيسها مدارس ابتدائية للفتيان والفتيات بل تخطت الى أن تفتح مدارس صناعية للشابات لتبقين مدة طويلة تحت تدبيرها وتربين على شاكلتها

فالمدرسة الصناعية من شأنها وغايتها ان توسع نطاق تعليم المبادئ ثمّ تعدّ الشابات اللاتي من مصاف الفعلة أو ذوي الاعمال التجارية الطفيفة الى بعض الحرف الخصوصيّة التي بها يستطعن ان يكتسبن بلياقةٍ ما يقوم باودهنّ. وهذا العمل باعتبارنا إياهُ بذاتهِ ليس شيء أحسن وأنفع منهُ . قد ادرك المسونيون ما من الاهمية الكبرى في الدور الذي تلعبهُ المرأة في هذا العالم وعليهِ أخذوا يؤسسون اولاً في باريس مدارس صناعية ويقال ان لهم في هذا الشأن مقاصد بعيدة الغور. وها الان قد فتحت منها عدة مدارس كبرى تبرم اعمالها تحت حماية المحافل المسونية وهي مسوسة بخواتين ومعلمات للمسونيين فيهنّ كل الثقة

فمن جهة هذه المنشآت المادّية ليس عندنا ما نقول عليها. لكن الذي نذكره هنا ونأسف عليهِ كل الاسف انما هو مبدأ التعطيل العملي (عدم الايمان بالله) مبدأ المسونية الاساسي الحامل على تأسيس هذه المدارس . فهو قاعدة وضعية لعدم المبالاة بالدين ونفي كل تصور الهٍ وهذا النفي يوضع اساساً للتهذيب . ففي هذه المدارس يُمنع منعاً مشدداً كل تصريح بتصورٍ ديني ولو مبهماً وعامّا ولا يتساهل المسونيون في مخالفة هذا المنع على الاطلاق فقد اتفق ان احدى المعلمات نطقت من دون انتباهٍ باسم الله فُطردت حالّا بلا شفقةٍ ولا عذر . فاين ذلك الاحتمال المدعي بهِ هؤلاء الاحرار الضمير

وهذه المدارس هي قبل كل شيء للبنات مدرسة أدبية مستقلة ومزدرعٌ ينبت النساء الحرائر وقد رأينا جريدة « العالم المسوني » الفرنسيــة تتعجب من هذا التهذيب وتطرئهُ بافراط . من ذلك ما قالت في ايلول سنة ١٨٦٦ « اما فيما يخصّ الادبيّة (في هذه المدارس) فليست بيهوديّة ولا بروتستــانية بل هي الادبية الشاملة التي تأتي بها كل امرأةٍ وكل رجل الى هذا العالم » الَّا انها لتكد الحظ مظلمة بالخطيئة الاصلية ومن ثمَّ شديدة الافتقار الى الديانة حتى انها لا يمكن ان تقوم بدونهــا بل لا يمكن وجود أدبية بلا ديانة كما انهُ لا يوجد شجرة بلا اصل ولا بيت بلا اساس ولا سقف بلا جدرانٍ يستند عليها . ثمَّ ان الادبية انما تقوم باتمام الواجبات أوَليس على الانســان اول واجباتهِ في هذه الارض ان يعرف الهُ ويحبهُ ويعبده فهذا ما تجريه الديانة عمليًّا وهذا ما ترفضهُ المسونية التي ظهر ان أدبيتها التي تدعيها هي مضادة للادبية جوهريا

وقد كتب السيد دي سكور العلامة الشهير من نحو عشرين سنة ان هؤلاء الفتيات المنضمات الى المدارس الصنــاعية المسونية قد بلغنَ في باريس ثلثمائة شابَّة ولا ريب في انهنَّ قد تكاثر عددهنَّ جدًا فيما بعد . ونشأ من مصافهنَّ عدة من الامهات عاريات من الديانة والأدبية يربين أولادهنَّ على صورتهنَّ ومثالهنَّ فيتألف منهم فئةٌ من احداثٍ وثنيين وسط بلادٍ اهلها كــاثوليكيون صرحاء

١٤ ان المدارس الابتدائية والصناعية التي فتحهــا المسونيون الاوربيون لم تروِ غلَّ غيرتهم الشيطانية اذ قالوا في نفوسهم : حتى الان نرى الفتيان والفتيات الذين نربيهم لا يقيمون في مدارسنا الَّا بعض ساعاتٍ في النهــار واغلبهم يفلت من أيدينا ايام الاحاد والاعياد وهؤلاء الاولاد يتلقون في بيوتهم تعليمًا مخالفًا كل

الخالقة لتعليها ومن ثمَّ كل ما تبنيهِ مدارسنا تهدمهُ العيال المسيحية عن اخره فنخسر والحالة هذه كل اموالنا واتعابنا. فما العمل

على ان المسونيين بعد ان تبصروا في الامر قالوا: « لنفتحنَّ مآوي للايتام نقبل فيها اولًا أيتام المسونيين المتوفين ثمَّ سائر الاولاد الايتام الذين نقدر على تخليصهم من أيدي ذوي قرباهم. فهولاء الاولاد لن يختصوا الّا بنا وبما انهم بين أيدينا ليل نهار نستطيع ان نربيهم تربية مسونية محضة ولن تقوى يدٌ اخرى على نقض ما بنيناهُ وحينئذٍ ننشئُ مسونيين صرحاء ومسونيات حقيقيَّات ونهتم في أن نزوج بعضهم لبعض حتى لايحيدوا عن المبادئ المسونية فينتج من هذا الاقتران ولادة مسونيين ومسونيَّات واذ ذاك تنمو المسونية وتنجح من يومٍ الى يومٍ لخير الانسانية العظيم » كذا

١٥ وتأييدًا لما سبق رغبنا ان ننقل الاعلان الآتي الذي نشرتهُ تاسع عشر تشرين الثاني عام ١٨٧٩ الجريدة المسونية Le mot d'ordre التي ينشئها الاخ المسوني ادمون ليبلتيه وهذه ترجمتهُ:

« مأوى الايتام المسوني العام

« ان ماوى الايتام المسوني العام هذا المقام المسوني المفيد الذي انشأَهُ حديثًا رجال شجعة منقطعون للخدمة ارادوا ان يعهروا المسونية الفرنسية دون تمييز طائفة دينية بما لم تكن حاصلةً عليهِ — أي مأوى ايتام يكون مسونيًا محضًا وعالميًا صريحًا — لهو في سبيل التنظيم الفائق وعن قرب ينجز هذا العمل. لكن ترويجًا لانجاز عملٍ هذه اهميتهُ والمتوقع من جميع المسونيين الذين يرون بعين الكدر ايتام المسونيين يربون في بيتٍ مشرب الروح الاكليريكي فنستغيث باهل الحماسة والغيرة وذوي الفضل والمحبة

« وسيعقد مجلس حافل من اهل السماع في الاحد القادم في ٢٣ تشرين الثاني يُصرف ريعهُ على مأوى الايتام المسوني العام وسننشر لائحة الالحـان والاحتفالات التي تكون في هذا العيد الجميل المصنوع محبةً بالانسانية فنحض على الاقبال عليهِ جميع قرائنا واصحابنا »

الفصل الرابع

المسونية وحرية الشعب

١ ان المسونية لا تفتأ تطرئ الحرّية وتنادي بانها حقٌ جوهريٌّ في الانسان فاليك ما قال المسوني المتورّ ويسهوبت :

« ان المساواة والحرية هما الحقّان الجوهريان اللذان نالهما الانسان من الطبيعة بكمالهِ الاصلي والاولي . واول ضربةٍ انقضت على المساواة كانت بالتملك واول ضربةٍ رُشقت بها الحرية كان مصدرها الاجتماعات السياسية او الحكومات . اما الاركان الحقيقية الوحيدة التي يستند عليها التملك والحكومات فهي الشرائع الدينية والشرائع المدنية التي تقتبس منها كل قوّتها . فاذًا اعادة للانسان حقوقهُ الاولية من المساواة والحرّية يقتضي الشروع بهدم كل ديانة وكل شريعة دينية ومدنية توصلًا للاشاة كل تملك »

٢ فعلى القارئ ان ينعم النظر في التناسب الذي اقامهُ ويسهوبت بين المساواة والحرية . فالحرية حسب فهمهِ لها لا يمكن ان تقوم بدون المساواة لان العبد ليس بحرّ بازاء سيدهِ ولا اسير الحرب بازاء غالبهِ ولا الفاعل بازاء مشغلهِ ولا الصانع بازاء معلمهِ . وكذا ايضا الجندي ليس بحرٍّ بازاء قائدهِ ولا المجرم بازاء الشرطي والقاضي ولا الرعايا بازاء ملكهم ولا المؤمن بازاء رؤسائهِ الروحيين وهلم جرًّا

ولكن لمَ هؤلاء الذين ذكرناهم ليسوا باحرار . ذلك لان السيد مسلط على عبدهِ والشرطي على المجرم الذي يقبض عليهِ والقاضي على الذي يحاكمهُ والضابط على الجندي والملك على جميع رعاياه الخ

وهذا التسلط هو الذي تعلنهُ المسونية جائرًا وتجتهد في ملاشاتهِ لكي يكون جميع البشر متساوين ويكون كل منهم حرًا ليفعل ما يشاء حتى اذا قتل الابرياء او ظلم الضعفاء او ارتكب المنكرات لايكون من يحاسبهُ او يأخذهُ بذنبهِ زه زه ....

فمن هو يا ترى الغبي الاعمى الذي سدلت على بصيرتهِ حجب الجهل والبلاهة فلا يرى ان هذه المساواة بين جميع البشر وهذه الحرية المطلقة من المستحيل حصولها فعلًا لما فيهما من المناقضة الظاهرة للطبيعة

٣ وهاك ما جاء في كتاب ديشان بهذا الشأن :

ان المسونية بمناداتها دائمًا على رؤوس الملاءِ بحرّيةٍ ومساواةٍ لا يمكن تحقيقهما مطلقًا تهدم عمليًا الحرية الحقيقية والمساواة بازاء الله والكنيسة هاتين الحرية والمساواة اللتين وجدتا في النصرانية ملاذًا امينًا وحرزًا حصينًا في هذه الدنيا

فبموجب العقيدة المسيحية التي يسهل علينا ان نثبت حقيقتها من الترتيب الطبيعي تكون جميع حقوق البشر باعتبارهم افرادًا كزعماء العشائر واعضاء الالفة المدنية ووطنيي اقليمٍ او بلدٍ مبنية على اساس الواجبات المقتضي عليهم اتمامها نحو الله والفرض والحق اللذين يبلغان بهم الى غايتهم الاخيرة باستخدامهم الوسائط التي يتخذونها من نظام الاشياء المخلوقة والخيرات المادية والمنشآت المبرورة التي تكتنفهم

فاذن شريعة الله هي الاساس الاول لجميع الحقوق البشرية وكل السلطات الجارية منها لتنظيم الالفة على اختلاف طبقاتها وزد على ذلك انها توفق بين جميع هذه الحقوق وتتسلّط عليها حالة التئامها وهي الواضعة حدًا لكل

هذه السلطات التي ليست الّا جزءا من القدرة السامية التي للاب والسيد الحقيقي الذي يعبدهُ المسيحيون في السماء فلا سلطة الّا من الله

فهذا النظام كلهُ تقلبهُ الجمعيات السرية وتحزبهُ لاعتبارها ان كل انسان حرٌّ مطلقًا ومتساوٍ مطلقًا وعليهِ فكلٌّ ملكٌ وكلٌّ كاهنٌ

فلو كان الانسان يعيش في العزلة والانفراد مطلقًا لكان هذا التصور ممكن الحصول. لكن بما ان ضرورة الطبيعة الطبيعية والادبية تحملهُ على الاختلاط بالناس فلا بدَّ من وقوع الشحناء لتكد الطالع بينهُ وبينهم . فاي نظامٍ يوفق بين هذه التساويات المطلقة والحريات السامية لاشك ان ذلك النظام يكون القوة وحدها وهي اما القوة الوحشية او المكريّة

٤ وخطب المسيو بريسو دي فارفيل احد كبار المسونيين بين نخبةٍ من زعماء المسونية قال:

« ان ثروتنا يقتضي ان تكون بقدر احتياجاتنا فاذا كان مقدار اربعين ريالًا كافيًا للقيام باودنا كان تملك مائتي الف ريال سرقة ظاهرة جائرة. اما الاختصاص الحصري فان هو الّا جرم فظيع حقاً في الطبيعة. فالاحتياج هو الاساس الوحيد لما نملكهُ وينتج من هذه المبادئ ان الانسان اذا كان مكتفيًا لا يقتضي ان يختصّ لنفسهِ شيئًا آخر البتة ... ان شرائعنا الالفية تقتصّ من السرقة مع انها عمل فضيلة تامر بهِ الطبيعة عينها . ايها الوطنيون التجار تراكم تبيعون الارزاق وتشترونها . ويلًا لكم ... فانّى للبائع الحق ليبيعكموها . انها ليست لكم ولا لباعتكم »

فوا اسفاهُ. ان هاته المساواة المسونية لقد افضى بها الامر الى التسوية المطلقة والتحكم الفاحش وسلب كل اختصص وتملك

واليك الان تتمة قول هذا المسوني المشهور عن الحرية المسونية . تأمل كيف يفضي بها الى أكل لحم البشر :

« اذا كان لخروف حق على ازدراد الوف من الهوام المقيمة بين اعشاب المراعي واذا كان الذئب يباح له ان يفترس الخروف واذا كان الانسان يقدر على الاغتذاء بلحوم سائر الحيوانات فلمَ لا يكون للخروف والذئب والانسان حق كذلك على استخدام اقرانهم بني جنسهم غذاء لهم ؟ .. فان آكلي لحوم بني البشر الذين لم يكونوا منقادين بشرائع ورسوم الفيَّة لم يفعلوا ذلك (لم يأكلوا لحوم بعضهم) الّا اتباعاً لنخس الطبيعة (١) » هذه اذن هي المساواة والحرية الوحشيتان اللتان تنادي بهما المسونية

٥ فنتج انه بلوغاً لهذه المساواة يقتضي ملاشاة الاختصاص والتملك وجعل جميع الخيرات مشتركة وتوصلًا الى هذه الحرية يقتضي الغاء كل سلطة وكل حكومة روحية أو زمنية وكل شريعة وكل نظام الخ

ولهذا كان المسوني برودون ينادي بالفوضى العمومية وكان يطلق على الاختصاص اسم السرقة وقد عبر عن فكره بايراد هذه العبارة الممقوتة :

« فلنهدمنَّ اولًا اختصاصات وحقوق الديانة والملوك أو الامم فترى حقوق واختصاصات الافراد قد سقطت على الاثر لا محالة ... »

أ فليست هذه المساواة هي السرقة العمومية سرقة جميع الحقوق وكل الاختصاصات على ان برودون هذا يجعلها فرضاً وفضيلةً . فيا له جنوناً فظيعاً وفساداً شنيعاً

---

(1) Recherches philosophiques sur le droit de propriété (Chartres 1786)

٦ ولعلَّ القارئ يسأل ماذا تريد بذلك المسونية والى أي حالٍ تشاء البلوغ . فيجيب برودون « الى الفوضى الى اللاحكومة »

لكن الاختبار يبين لنا ان المسونية تريد ان تقيم تعليمها الكفري ومذهبها التعطيلي مقام الديانة الحقيقية ومقام كل ديانةٍ تؤمن بالله وفضلاً عن هذا تروم ان تحلَّ سلطتها المطلقة الجائرة محلَّ كل سلطةٍ اخرى مدنية أو دينية حتى اذا سادت على العالم كلهِ اسست فيهِ ملك الهها الحقيقي الذي هو ابليس الرجيم رأس الفوضى

فان تيسر للمسونية لا سمح الله ان تبلغ اربها أمست الارض جهنماً ثانيةً جديدة بان يطلق عليها آية ايوب البار : « ارض ظلمة وظلال موتٍ . ارض دجية حالكة كالديجور وظلال موتٍ ونهارها كالديجور » (١٠ : ٢٢)

لكنَّ الله المالك في السماء المتسلط على امواج البحر وعواصف الرياح متسلط ايضاً على اعدائهِ على اشدّهم بطشاً واكثرهم قدرةً فهو يعرقل متى شاء مكايدهم الخبيثة ويحبط مساعيهم وينصر كنيستهُ التي وعدها انه يكون معها الى الابد فلن تقوى عليها ابواب الجحيم

الفصل الخامس

المسونية وحرية ذويهـــا

١ ان الباريْ تعالى لم يخلق الانسان حرًّا ليسوغ لهُ عمل الخير وعمل الشر على حدٍ سوى بل ليؤثر الخير على الشر من تلقاء نفسهِ وبهذا يكون لهُ فضلٌ وجزاء لدى خالقهِ الكريم اذ لا فضل لنا فيما نفعـــلهُ اضطرارًا او قهرًا كما هو ظاهر جليًا لا شبهة فيهِ

اما المسونية فتنبذ هذا المبدأ الواضح الراهن المبني على اساسهِ كل ادب وصلاح لانها لا تنادي الّا بحرّية الشر اي تقويض اركان كل سلطةٍ دينية ومدنية وكل نظام النيّ كما تقدم بيانهُ. فانها مسوّغة لذويها كل ما يؤول الى انفاذ غاياتها المقوتة حتى قتل الملوك والسلاطين وهذا امرٌ اكيد اثبتتـــهُ واقعة الحال على عهدنا نفسهِ مع ما يدعيهِ القرن التـــاسع عشر من فائق التقدم والتمدن ولطيف الاخلاق

فمن ينسى ما اجراهُ اهل المسونية من الغدر بنابوليون الثالث وألفُنس الثـــاني عشر وهمبرت الاول واسكندر الثاني واسكندر الثالث . ولا يستغرب كلامنا هذا الّا من خفي عليهِ دأب المسونية وهو تحويلها الخير الى شرٍ والشر الى خير والظلمة الى نور والنور الى ديجور

الّا ان غاية العجب في اعمال المسونية انما هي تحريمها الحرية على ذويهـــا انفسهم من اي رتبةٍ ومقام كانوا . لعمري ما من عبدٍ مظلوم تُضبط عليهِ الحرية كما تضبط المسونية حرية تباعها اجمعين من اكبرهم منصبًا الى ادناهم رتبةً

فقد اخبر المؤرخ كريتونوجولي (١) ان احد زعماء المسونية الخفيين الملقب بتوبيوس قد سُقي سمًّا لمجرد وقوع بعض رسالاته بين ايدي عمّال الحكومة البابوية على عهد البابا غريغوريوس السادس عشر وذلك حذرًا من ان يُقبض عليهِ فيضطر الى افشاء اسرار الجمعية. فلم يراعِ بقية الزعماء حريتهُ ادنى مراعاة ولم يبيحوا لهُ الفرار والرحيل الى اميركا او قطرٍ آخر شاسع يحوز فيهِ الامان والاطمئنان

٢ لكن ما لنا والاخبار القديمة. ها اننا عثرنا في جريدة الاونيفير الصادرة في عاصمة الفرنسيس على خبرٍ قريب العهد ورد فيها بتاريخ ٣٠ تشرين الاول المنصرم

قالت : «كتب لنا رجلٌ من مقاطعة سافوا بما يأتي (ملخصاً) :

« ذهبت في الاسبوع الماضي عند احد اصدقائي الخوارنة خادم كنيسة قرية . . . الواقعة بحذاء سكة شامبري الحديدية وكنت اود ذكر اسمهِ لكنهُ لا يزيد في الحديث شيئًا فضلًا عن اني لم استأذنهُ باشهارهِ. وفي تلك الكنيسة باب كبير عتيق من القرن الحادي عشر

« وبينما كنت متاملا في ما على هذا الباب من الآثار الجميلة اذا رجلٌ وفد عليَّ فطارحني السلام وعرفني بنفسهِ فاذا هو واحدٌ من رصفائي التلامذة لم ارهُ من ٣٦ سنة فابتهجت كثيرًا بلقياهُ وقلت لهُ ان لهذا الباب فضلا عليَّ لاني لو لم اجئ لفحص آثارهِ لما غنمت حظ مرآك. فقال الكاهن اني لا ادخل من هذا الباب مرةً الّا اذكر حادثا جرى من بعض سنين: افلا تريد ان اقصهُ

---

(١) في كتابه النفيس La Papauté en face de la Révolution

عليك فقلتُ لهُ: حدث ولا حرج. فقال :

« اني جئتُ الى هذه الكنيسة من سنة ١٨٧٤ وبعد خدمتي اياها بضعة اشهر حدث يومًا اني كنت خارجًا من الكنيسة بعد اقامة القداس فصادفت على الباب رجلًا غريبًا مستندًا على ظهرهِ وكانت ثيابهُ الناعمة وهيئتهُ تدل على انهُ من صف اهل العالم وكان حذاؤُهُ مكتسيًا بغبار كثير يؤْخذ منهُ انهُ مشى طويلًا فقال: أيمكنك يا سيدي الخوري بعد افطارك ان ترجع الى الكنيسة فاني أُريد ان اعترف

« فقلت لهُ لست مضطرًا الآن للاكل فان حسن عندك اسمع اعترافك حالًا. اجاب: ذلك احسن وها انا مستعد

« فدخلنا الكنيسة ودام الاعتراف طويلًا وهاك شيئًا مما اخبرنيهِ خارجًا عن الاعتراف ولم ازل متذكرًا بهِ :

« قال لي اني رجل ايطالي وكنت كاتبًا عند راتتسي وقد ذهبت بي تعاسة الحظ الى الوقوع في اشراك الجمعيـات السرّية . فمن مدة بعض ايام علم الرؤساء ان احد الاخوة قد باح باسرار الشيعة فالتأم الاعضاء وحكموا عليهِ بالقتل ووقعت القرعة عليَّ باجراء هذا الحكم . اما انا فقد ارتكبت آثامًا عديدة ودست برجليَّ جميع الواجبات المفروضة على رجل مسيحي لكني لما افتكرت بتلطيخ يدي بالدم جاشت نفسي وهاج فيها القلق وعقدت العزم على الفرار . الَّا اني لا اشك انهم سيلحقون بي ومن الصعب اني انجو من انتقام الشيعة اما انا فلست بخائف ولأحبّ اليَّ ان أُقتل من ان أَقتل. ولم اتمكن من السفر في السكة الحديدية فخرجت من بلدي في الليل راجلًا فقطعت جبل سنيس مبتعدًا ما استطعت عن الطريق العمومية الكبرى ولما بلغت اليوم هنا

سمعت جرس قداسك يقرع فشعرت بصوت داخلي يناديني ان الله هو الذي يدعوك فدخلت وصليت . فيالله كم خالقي جواد صالح فلربَّ خنجر يطعن فؤادي اليوم في احد الدروب لكن لا بأس استطيع الموت الا اني اود لو تمكنت من تناول القربان المقدس اذا كنت لا تراني غير أهل

« فاجبتهُ لا يا عزيزي ان الخاطئ التائب لايكون غير أهلٍ ابدًا لتناول جسد المخلص الالهي الذي صلب عن الخطأة فاذهب الى المائدة المقدسة

ثم ناولتهُ جسد الرب وتلوت الشكر على مسمع منهُ وخرجت واياهُ من الكنيسة وقلت له الى اين انت ذاهب الان . فقال : ابذل جهدي في بلوغ احدى الموانئ وركوب البحر الى اميركا . لكني لعلى ريب عظيم من الوصول سالمًا . واردف كلامهُ بقوله : اشكرك ياسيدي الخوري عن المنة التي اصطنعتها معي فارجوك ان تعمل معي جميلًا آخر ان تخصني بذكرٍ في الذبيحة المقدسة

« فودعني وسافر ولا اعلم ماذا حلَّ به »

(انتهت الرسالة)

ولا شكَّ ان ما حل به انما كان القتل غدرًا وهذا أقرب الى التصديق من نقيضه بل نكاد نؤكدهُ كل التأكيد لما نعهدهُ في المسونية من الاقدام والجسارة في بلوغ مآربها

٣ ومن طالع تأليف براشياني المعنون اليهودي القيروتزي او تأليفهُ المعروف بابيونلو تبيَّن له ما للمسونية من الهمة والثبات في انفاذ مآربها وما لها من الطرائق الغريبة العديدة للنجاح في مساعيها المكروهة العدوانية

فمتى قضت على احد اعضائها بالموت فلا مناص من ان يُقتل غدرًا حيثما اختفى والى حيثما فرَّ هاربًا

وهاك ما صرح بهِ يوسف متزيني المسوني الجزيل الشهرة في كتابهِ المعنون تنظيم ايطاليا الفتيَّة . قال: « من (من المسونيين) لا يطيع اوامر الجمعية السرية أو يفشي اسرارها ينحر لا محالة بالخنجر وينزل بهِ العقاب عينهُ المضروب على كل خائن واذا فرَّ المجرم هاربا فيطارد بلا انقطاع وفي كل موضع ولا بدَّ أخيرًا من ان تضربهُ يدٌ غير منظورة ولو في حجر والدته أو في بيت جسد المسيح (١) »

ولم يكن قول متزيني هذا تهديدًا باطلًا لا يخرج الى حيز العمل كما يدعي قومٌ ويزيدون قائلين : مما هو ليلقي الخوف والرعبة في قلوب المسونيين القليلي العزم والثبات بل كان امرًا مطاعًا عقبهُ قتل عدة مسونيين غدرًا كما يثبت الاختبار

٤ وحبًا بالاختصار لا نتعرَّض لذكر قتل اثنين من مؤسسي المحفل المسوني المعروف « باوربا الفتية » وهما دي نست وستروسماير . ولا قتل كوتزيو ولا التعدي على نابوليون الثالث تسع مرات قصد اهلاكه ولا قتل الكونت دي روسّي كبير وزراء البابا بيوس التاسع وغيرهم كثيرين الذين فتك بهم المسونيون لكونهم من شيعتهم بل نقتصر على ايراد ما جرى في مدينة رودس (فرنسا) ٣١ ايار سنة ١٨٣٣ كما جاء في كتاب لوسيان دي لاهودّ واليك البيان :

« ان أربعة من المهاجرين وهم اميلياني وسكورياتي ولازونسكي واندرياني كانوا يرغبون في محاربة ظلاَّم ايطاليا لكنهم لم يقبلوا التعاليم التي تدعو الى سفك

---

(١) البند الثلاثون والثالث والثلاثون من الكتاب المومأ اليه

الدم وتأمر بها العصبة المتزينية (المسونية) وقد تداولوا بهذا الشأن جهاراً فكان ذلك جريمة فظيعة وخيانةً شنيعة بلغ خبرها الى المجالس القضوية السرية وجاء المسيو متزيني من جنيفة خصوصاً ليرؤس مجلس قضاء يعقد في مرسيليا وفقاً للقوانين (المسونية) وكان كاتم الاسرار رجلاً اسمهُ لاسيسليا وجلس كثيرون من الزعماء كاعضاء للمجلس القضوي القائم واجتمع القضاة ليلاً في بيت احدهم وتداولوا رسمياً لفحص المسألة بدون حضور المشتكى عليهم ولا المحامين بل رضوخاً لامر متزيني ليس الّا . فقرأ كاتم الاسرار لائحة الشكوى وانتج منها سقوط المشتكى عليهم تحت وقر ذنبين الاول انهم اذاعوا كتابات ضد الجمعية المقدسة (كذا) . والثاني انهم كانوا من حزب الحكومة البابوية وذلك مما يتأتى عنهُ عرقلة مقاصد العصبة وتوقيف مشروعاتها التي غايتها المقدسة هي الحرية

وكانت الادلة مأخوذة من عدة شهادات مكتوبة أظهرت عياناً فتداولوا فيها وفحصوها واتفقوا حالاً على بيخلها اذ لم يوجد من يناقضها وعليه فاجراء لدستور القوانين (المسونية) بند ٢٢ — حكم المجلس باتفاق الجميع على ميليني وسكوريتي بعقاب الموت . اما لازونسكي ونمدريالي المدان كان ذنبهما خف فلم يحكم عليهما الا بان يضربا بالعصي لكن ترتب عليهما انهما عند رجوعهما الى وطنهما يحكم عليهما حكماً جديداً بموجبه يرسلان الى الايمان لايدي شان الخائنين واللصوص الفجار = . وقد وقع هذا الحكم الرئيس متزيني وكاتم الاسرار لاسيسليا . وقد حجزت صورة هذا الحكم من قبل الحكومة الفرنسية ولا تزال محفوظة . ولما كان المحكوم عليهم مقيمين في رودس ذيلت صورة الحكم بهذه الاضافة : — ان رئيس محفل رودس ينتخب . معه

لاجراء الحكم الحاضر في مدة ٢٠ يوماً على الكثير والذي يأبى اجراء الامر يستوجب الموت بنفس فعلهِ ... (١)

« وبعد اصدار هذا الحكم بينا كان اميلياني مجتازاً احد شوارع رودس اذا بستة رجال من وطنهِ هجموا عليهِ وطعنوهُ بخناجرهم عدة طعنات وولوا الادبار لكن التعيس الحظ بقي فيهِ من الحياة بعض رمق والقي القبض على الجناة. فعرضت الدعوى على مجلس القضاة الذي لم يبطئ في كشفها وحكم على المفوَّض اليهم اجراء امر مترني بسجن خمس سنين

« وكان اميلياني رغماً عن وهن قواهُ بالجراح الثخينة قد حضر هو نفسهُ امام المجلس تصحبهُ امرأتهُ وهي تكتنفهُ بالاهتمام الذي تتطلبهُ حالتهُ وعند خروجهِ من المحكمة كان قد كلَّ من التعب فدخل نادي قهوة يستريح هو وحليلتهُ وكان معهما صاحبهُ لازونسكي وما مضت برهة يسيرة الّا وقد جاء رجلٌ اسمهُ كافيولي فوثب على اميلياني وضربهُ بخنجرٍ في صدرهِ بدون ان يفوه ببنت شفة ثم طعن لازونسكي فسقط صريعا ولما كانت امرأة اميلياني قد اسرعت لاغاثة بعلها طرحها ايضاً فوقهما طاعناً اياها بمدية طعنتين ثم اركن الى القرار فلم يستطع امساكه الّا بعد تعبٍ عنيفٍ اذ اجتمع عليهِ زمرة من الشبان الذين قاومهم مقاومة الآيسين

« اما مجلس القضاء المسوني المريع فقد القى رعباً عظيماً في القلوب حتى

---

(١) هذه هي الفاظ الحكم الذي سلّم لوكيل شرائع المملكة ونشر في بعض الجرائد منها Le Rénovateur و LeCourrier de l'Europe ثامن حزيران سنة ١٨٣٣

انهُ عند الاحتفال بمأتم القتلى بعد يومين لم يتجاسر على الحضور ولا ايطاليٌ فردٌ واما القاتل فحوكم وحكم عليهِ بمثل ما جنت يداه. واما المسيو متزيني فرجع الى سويسره رجوع النمر الى عرينـهِ بعد ملحمة فظيعة وعاد الى المواظبة على شغلهِ الذي هو الخراب الالفي »

٥ ولنختم كلامنا بما اوردهُ ديشان في كتابهِ النفيس حيث قال :

« سنة ١٨٦٧ يوم معركة منتانة وجد على جثة شاب من حزب غريبلدي رسالةٌ مغموسة بالدم يطلب فيها من امهِ العفو قائلًا : ان يقينهُ بانهُ يُقتل من ذوي الشيعة المسونية التي انخرط في سلكها كان يحملهُ على السير ضدًا لنخس ضميرهِ بمحاربتهِ جنود البابا (١)

فتأمل ايها القارئ اللبيب واقضِ في حسن الحرية التي تنادي بها المسونية على رؤوس الناس وتفتخر متباهية في استنباطها ولقد رأيت اعمالها مروية عن رجالٍ ثقاة وشهود معاصرين . افلا ترى ان فيها نقض ما تدعي بهِ اي رقًا شنيعًا واسرًا فظيعًا . فاعتبر والله الواقي

---

(1) Les sociétés secrètes et la Société. Tom. I. page 171.

الفصل السادس

المسونية وطرائق انتشارها

١ ان الطريقة الاولى قد اوضحها المسوني اليهودي الملقب بالبيكولو تيكري (النمر الصغير) في رسالة سرية بعث بها الى المحفل المسوني البيامونتي سنة ١٨٢٢ في ١٨ كانون الثاني . فان هذا المسوني المطبوع بعد ان بيّن اقتضاء ابعاد الرجل عن قرينتهِ واولادهِ بل واشرابهِ روح السأم من العيشة البيتية ومما عليهِ من الواجبات نحو عائلته ثم حملهِ على التردد الى المتنزهات في نوادي القهوة والملاعب وكره اشغاله القليلة الربح حتى يضجر اخيرًا من حالتهِ ويعوّل على تغييرها اردف قوله بما يلي :

« عند ما تلقون في بعض النفوس روح السأم من العائلة والديانة اطرحوا بعض الفاظٍ تدعو الى الرغبة في الانتظام في سلك المحفل المسوني الاقرب . فان افتخار ابن المدن أو أحد الاغنياء بالاشتراك في المسونية عامّي وعمومي حتى اني اندهل دائمًا من الحماقة البشرية ويأخذني العجب من ان لا ارى العالم كلهُ قارعًا باب المحترمين (رؤساء المحافل المسونية) وملتمسًا منهم توشيحه بشرف ان يكون واحدًا من الفعلة المنتخبين لتجديد بناء هيكل سليمان . على ان سرّ الشيء المجهول يسبي البشر بقوّة غريبة حتى انهم يتهيأون برعدة وخوف الى احتمال الامتحانات الخيالية التي تجرى قبل قبول المرء في الشركة المسونية والمأدبة الاخوية

« ويظهر ان وجود الرجل عضوًا لاحد المحافل وعيشتهُ مفترقًا عن امرأتهِ وبنيه ودعوته الى حفظ سرّ لا يباح بهِ لكم مطلقًا ذلك حقًا لعض

الناس شهوةً وحرص »

فما القول عن هذا الاثم الفظيع والمكر المريع ...

٢ اليك الان طريقةً اخرى لانتشار المسونية عرضها الاخ المسوني كلافل الذي نقلنا نص كلامهِ حرفيا مترجمًا عن تاريخهِ المشهور شاكرين الله سبحانهُ على ان هؤلاء الكفرة يسلموننا احيانًا رغمًا عنهم زمام اسرار اعتصابهم. قال

« ان الذين يجرؤُون الى الدخول في المسونية يقــال لهم : ان المسونية هي جمعية غايتها حب الانسانية وتنجيحها. يعيش اعضاؤُها كاخوة في صف مساواةٍ حلوة ... فالمسوني هو ابن وطنٍ واحد في العالم كله لانهُ في أي مكان وجد لا يمكن الّا يرى اخوةً يكرمون مثواهُ ويحسنون استقبالهُ دون ان يحتاج الى من يوصيهم بهِ الّا الى لقبهِ ولا الى من يعرفهم به الا الى الاشارات والالفاظ السرية المعروفة والمستعملة عند عائلة المسونيين الكبرى »

« أما أُلوا الفضول فيقطع لسانهم بالقول لهم: ان الجمعية تحفظ بتديّن سرًّا لا يباح ولن يباح به ابدا الا للمسونيين وحدهم

« أما محبو التلذذ فيُرضون باخبارهم بالولائم الفاخرة حيث اللحوم الجيدة والخمور اللذيذة تدعو الى توثيق علائق صداقة الاخوية

« وأما اصحاب الصنائع وارباب التجارة فيقال لهم : ان المسونية تأتيهم بمنافع عظيمة لانها توسع نطاق اعمالهم ودائرة اشغالهم . — وهكذا نكون قد وجدنا حججًا ترضي جميع الاميال وكل الدعوات وسامة العقول وجميع الطبقات »(١)

فما قولك بهذا ايضًا ايها القارئ الحبيب ...

وتماما للرسم الذي جاء به المسوني كلافل نضيف استنــادًا على ما نراهُ

1 Histoire pittoresque de la Fran-Maçonnerie p. 1 et 2.

بالاختبار قائلين :

« اما المسيحيون فلئلا يُغضبوا يُلاطفون بالفاظٍ حلوة يقال لهم فيها : ان المسونية لا تنفي أية ديانة كانت على الاطلاق لا بل ان فيها بعض اعضائها من الكهنة انفسهم الخ ... »

قال السيد دي سيغور المشهور : جاءت امرأةٌ صالحة ام عائلة يوماً الى كاهن قديس من اصحابي تلتمس منهُ المشورة فسألتهُ برزانةٍ قائلةً : « أصحيح ان الآباء الدومنيكان هم رؤساء المسونيين في فرنسا ؟ ولما كان اهل المسونية يرغبون زوجي ويكرهونهُ على الدخول في شيعتهم وكنت انا امانع ما استطعت جاءوا اليَّ وقالوا : ان الآباء الدومنيكان من اعضاء هذه الجمعية وهم يديرونها . أ فهذا حقيقيٌّ يا أبتِ ؟ »

هذه هي بعض طرائق انتشار المسونية واسرارها الشريفة

٣ لما كانت المسونية جمعية ثورية والثورة لا تنال أربها بمجرد اشاعة تعاليمها الفاسدة كانت تمسها الحاجة غالبًا الى العمل بالقوة الجبرية كسفك الدماء واضرام نار الوغى وما ضاهى ذلك . الا ان زعماء المسونية ليسوا ممن يقتحمون الاخطار هم بانفسهم ولا ممن يعرضون صدورهم هدفا للسيوف او الرصاص او القنابل بل يتقون كل خطر مقتصرين على اصدار اوامر مشددة للسذَج الذين اخذوهم في الاوهاق التي نصبوها لهم وجعلوهم كقطيع غنم مهياء للمسلخ . وفيما يكون اتباعهم خائضين ساحات القتال او مطلقين النار على الملوك والسلاطين تراهم لا يزالون كامنين في احدى الزوايا او منهمكين في ملاذّهم وتنعماتهم العادية . فاذا فاز حزبهم بالغلبة انطلقوا متسابقين الى ضبط المناصب العليا والقبض على زمام السياسة واغتنام الغنائم الفاخرة ولذا لا تقوم قوة المسونية

الجبرية اي الجنـــدية الّا من اسافل القوم ولا سيما من اصحاب الصنائع والفعلة المعاّق معاشهم على شغلهم اليومي

٤ واذا سأل احدٌ باية صنّارة تصيد المسونية مثل اولئك التعساء الحظ وتضمهم اليهـــا بل على نوعٍ ما تستعبدهم كارقاء اجبتهُ ان المسونية تبدي لهم الحب الاخوي والشفقة على فاقتهم او ضيقة معاشهم وتقرُّ لهم بحقوق ليست لهم وتؤمّلهم آمالاً كبيرة وتطمعهم بما تخفهم من المواعيد الخداعة الكثيرة

ولنا في هذا الشان شهادة الشيفيلتا كاتوليكا التي قالت في عددها الاخير ما مفادهُ :

« من عناصر قوة المسونية القوم العائشون من شغل أيديهم كأصحاب الصنائع والفعلة . فانها مهتمة في اجتذابهم اليها بتزيينها لابصارهم سراب الغنى الساطع وتعظيم فوائده وملاذه وخلب عقولهم اثر مثل هذه التصويرات الخيالية

« وتراها تكرر لهم الوعد بانتصـــار قريب العهد تحظى به الطبقة الالفية الرابعة التي تتألف منهم . اما هذا الانتصار السعيد فانهُ حسب تخيلهم يقوم بتقسيم الاموال والاملاك بين اعضاء الالفة جميعاً واجراء المساواة التامة بين الموسر والفقير وبين الاجير ومستأجره وبين الشاغل ومشغله وهلمّ جراء وحينئذ يسود اشتراك الخيرات الالفية ويصبح كل خير مشاعاً »

ثمَّ اردفت تلك الجريدة الشهيرة الخطيرة كلامها هذا بقولها :

« والحق يقال ان المسونية العليا لاتروم هذا الانتصار الموهوم ولا ترغب في جراء مثل هذه المساواة المالية اذ من شأنها ان تاتي أربابها الاغنياء بخسائر واضرار جسيمة . لكنها تطمع بها سافل اتباعها فيعللون بها الآمال وان هي الّا واسطة قويّة فعالة لتكثير جنودها وحماتهم عند الاقتضاء على خوض الاخطار

والمهالك ولو مهما تفاقمت الاهوال . وبنـاء على ذلك قد اخذت منذ مدةٍ بتاليف شركات خاصّة بهم ومجامع يلتمّ فيهـا من كل فجٍ ووادٍ عددٌ غفير من اصحاب الحرف وأُلي الصناعة والفعلة فيقوم فيهـا خطباء من المهذارين ذوي الثرثرة ينادون على رؤُوسهم باقبح المبادئ واوخم التعـاليم فيهيجون مخيلتهم وينفثون في افئدتهم سمَّ الحسد والبغض لاهل الثروة والسلطة والكهنوت »

٥ ومما يثبت هذا ما ورد في جورنال دي رُم بتاريخ ١٠ ك ١

قال : « في ٢٠ الشهر المنصرم عقدت شركة العملة الجمهورية الثوريّة مجمعاً في قاعة كبـيرة من احد ارباض باريس المعروفة بربض الهيكل وقد خلا الاجتماع هذه المرة من الضرب والجراح وكان من جملة الخطباء المسوني شابر ومن قولهِ ان التجار هم بوجه العموم لصوص لان الملك سرقة والتجارة سرقة . ثمَّ التفت في الكلام الى مجالس باريس البلديّة واوجب عليهـا فتح محالّ لبيع الخبز واللحم بل الحطب والفحم للجمهور بأرخص ثمن . ثمّ استدرك اعتراضات باعة الخبز واللحم والفحم والحطب فهتف قائلاً : لا يهمنا الحالة البؤسى التي يمسي فيها الفان أو ثلاثة لاف من اولئك الباعة . فهل ترى قد امتنع المسيو تيرس عن فتح السكك الحديدية لئلا تفوت ارباح الفنادق القائمة على الطريق او يقف شغل المركبات المشتهرة وتتحمَّل من ثمَّ خسائر بليغة تفضي بها الى الدمار والهبوط . ان بلديات باريس وحدها لقـادرة على بيع بضاعة رخيصة وجيدة معاً . . . . من دأب الخبازين ان يخلطوا الجبسين بالطحين والجزَّارين ان يقدموا لحماً مغشوشاً اما باعة الفحم اهل الفرنيا فجميعهم غشَّاشون وسراق »

فلا عجب في مثل هذه التشكيات والمطالب الجائرة اذ تنادي المسونية على رؤُوس الملا بكون خيرات الارض كلها مشاعة وجوباً لا نصيب عددٍ قليل

من بني آدم دون غيرهم

فعليك ايها القارئ اللبيب باستخراج النتائج الوخيمة الفظيعة الناتجة من مثل تلك المبــادئ وهذه الخطب المهيجة



الفصل السابع

المسونية الخارجية والداخلية

١ تقسم المسونية الى خارجية وداخلية فالاولى نسبتها من الالفة نسبة الجسم من الاقنوم البشري والثانية نسبة النفس والحياة منهُ فكما ان نفسنا محتجبة وراء غشاء الجسم الكثيف فكذلك نفس المسونية مستترة خلف حجاب جسمها الذي هو المسونية الخارجية

وفي سلك المسونية الخارجية قد انخرط خلق كثير وهم لا يدرون وجود المسونية الداخلية او اقله لا يعرفون ماذا يحدث فيها او ماذا تروم من المآرب الخفية ولهذا صح كلام من قال : ان المخدوعين من المسونيين كثيرون اما الخادعون فقليلون

وفي ظننا ان جميع المسونيين السوريين ليسوا الَّا اعضاء المسونية الخارجية ولن يبلغوا ابدًا الى الانخراط في سلك الداخلية . فهم اذن مسونيون ولكن دون ان يعرفوا كنه المسونية الحقيقية ولا غايتها النفاقية القبيحة . لكن هذه الغاية المستورة قد شق عن وجهها الحجاب باذن الله بانواع شتى وسنأتي على ذكرها في حينها ان شاء الله تعالى

٢ في اوربا تلتقي المسونية صنارتها فتصيد غالبًا من اهل اليسر من خلع الديانة وألف البطالة وعاش بلا همّ من مداخيل املاكهِ فهو يؤخذ في فخ المسونية طلبًا للنزهة والانبساط في محافلها . ومن ذوي الاتجار من انصبَّ على سلب اموال الناس جورًا او اثقل ظهورهم بربائهِ الفاحش او افلس فاحتاج الى ان يلوذ بمن يدفع عنهُ امام دائنهِ او قدام مجلس القضاء . ومن ذوي الطمع

من ليس الّا صعلوكًا دنيًا فرام التدرج في معارج الكرامات والثروة . ومن فريق محامي الدعاوي من كسدت سوقهُ وقصرت يدهُ فاشتهى اظهار بلاغتهِ بل شقشقة لسانهِ والتحطق بالكلام على غير طائل في المحافل . ومن ارباب الهياج والثورة من تاقت نفسهُ الى خلع الحكام عن مناصبهم للجلوس على منصاتهم . ومن رجال الشهوات من طلب لذة الحنجرة ورغب في الاجتماعات المسلية ليتسنى لهُ بحرّية تامة قول كل ما يشأ ان يقول . ومن الكفرة من ترقب الفرص ليتقيأ من فيهِ الدنس اقذار التجاديف الفظيعة على الله وعلى كنيسة يسوع المسيح وعلى الديانة . ومن اهل الفضول من اشتاقت نفسهُ الى الاطلاع على ما في المسونية وما يُقال فيها وما يُعمل طي خباياها . ومن السذَّج والبسطاء من يتوهم ان المسونية هي شركة خيريّة ومدرسة تمدن كما يدعي المسونيون منادين بذلك على رؤوس الناس بلا كلل

والى مصاف هولاء الناس الذين اشرنا اليهم قد اجتهدت المسونية منذ سنين طويلة بان تجمع عددًا كبيرًا وجمًا غفيرًا من الفعلة والمحترفين الذين هم اصح الجميع لجنديتها وهي تعدهم كرديف جيشها او باش بزقها لانها ترسلهم الى ساحة الهيجاء ايام الثورات مع ان ضابطي زمام المسونية ليسوا من مصاف الناس المخاطرين بانفسهم حين اضطرام نار الثورة و لمعرضين صدورهم لرصاص البنادق وكلل المدافع وانفلاق القنابل بل من زمرة الجبناء المتفرجين عن بعدٍ على اخطار المعاركة او المنزوين في اخفى الزوايا حفظًا لسلامة رؤوسهم وحياتهم العزيزة

هذا واما مسونيو سورية فجميعهم معروفون ولا حاجة الى الكلام عنهم انما نقول انهم هم اعضاء المسونية الخارجية ونبشرهم انهم يتربصون عمرهم كلهُ

في دهليز المسونية الداخلية فلن يتعدوهُ ابدًا لان الباب ممتنع محصن بالاقفال ودون دخولهِ اهوال . على انَّا والحمد لله لا نرتاب بان الثورة بعيدة عن ديار المشرق وطالما تغلق دونها الابواب ويمتنع عليها العبور اليها فالمسونية الداخليـة تحجم عن ايحاء اسرارها الى عمَّالها وتهيجهم على حمل السلاح للقتال والكفاح . لكن هذا لايمنع المنخرطين في المسونية من الكاثوليكيين ان يقعوا تحت ضربات العقابات والتأديبات البيعية

٣ فالمسونية الخارجية لها ثلث درجات اولاها درجة المبتدئ وهاك ما كتب عنها المسيو دي سنت البين في مؤلفهِ « اسرار المسونية » قال :

« ان المرشح للمسونيـة يأتي في اليوم المحدد لقبولهِ يجرُّهُ الى المحفل اخٌ مسوني لايعرفهُ وهناك يُدخَل الى غرفة منفردة يرى فيها اين مصباحين متوقدين الكتاب المقدس مفتوحًا عند الفصل الاول من انجيل يوحنا . ثم بعد ان يتمعن المرشح بعض دقائق تخلع عنهُ اثوابهُ وتعرّى خاصرتهُ اليسرى وركبتهُ اليمنى ويلبس في رجليهِ خفًا ويؤْخذ منهُ قبعتـهُ وسيفهُ (لان من الواجب ان يكون حاملا سيفًا) وكل ما معهُ من الدراهم والدنانير وتربط عيناه بعصـابةٍ ويساق الى « مخدع الافكار » ويؤمر ان لا يرفع العصابة عن عينيـهِ قبل ان يسمع صوت ثلث ضربات قوية . ثم يُترك وحدهُ وبعد ان يقضي زمانا صابرا متذمرًا من جراء هذه الاسرار يسمع صوت الدقة الثالثة فيرفع الحجـاب وحينئذٍ يقرأ على الجدران المغشاة بالسواد كتابات مختلفة كهذه مثلا :

= اذا كان فضولٌ باطل قد ساقك الى هنا فاخرجنَّ حالًا

= اذا خفت ان تكتشف على عيوبك فليس لك عملٌ هنا

= اذا كنت ذا مخاتلة فارتجف لانهم يقرأون كل ما خُطَّ على صفحات قلبك

= اذا كنت ترغب في الامتيازات البشريّة فاخرج لانها غير معروفة هنا

= اذا كان الخوف قد خامر نفسك فأحجم عن التقدم الى الامام

= يمكن ان يُطلب منك تحمل اعظم الخسائر حتى تضحية الحياة عينها. أفأنت مستعد لمقاساتها

وفي هذا المكان عينهِ مخدع الافكار يقتضي على المرشح كتابة وصيتهِ الاخيرة والاجابة بخط يدهِ على الاسئلة الثلثة الآتية التي لا تتغير ابدًا :

= ما واجبات الانسان نحو الله

= ما واجباتهُ نحو قريبهِ

= ما واجباتهُ نحو نفسهِ

وبعد كتابته وصيتهُ واجابتهِ على هذه الاسئلة يأتي اليهِ « الاخ المخيف » ويأخذ منهُ على طرف حسامهِ الوصية والاجوبة ويذهب بهما الى زعيم المحفل الذي يعرضها على الاعضاء كما يقول المسوني كلافل : ليروا « هل فيها بعض قضايا تضاد المسونية » — لكن المسونية التائقة الى ان ترى دخول تابع جديد في جنديتها لا ترفض لاجوبة الكتابية المدونة ولو اتت في جلسةٍ واحدة حتى ان اعلان الايمن الكاثوليكي عينه لا يكون سببًا لاخراج المرشح لان الداخل فيها لا يكون في دخوله مطلعًا على شيء من سرها.

٤ على ان الاسئلة الثلثة المشار اليها اي ما واجبات الانسان نحو الله ونحو قريبه ونحو نفسه لا تعرض الا على الداخلين حديثا اي المرشحين من الدرجة الاولى وذلك مخادعتهم بحملهم على الاعتقاد ان المسونية هي جمعية مهذبة وديعة تحض اعضاءها على اتمام واجباتهم نحو الله ونحو نفوسهم ونحو قريبهم . لعمري ان في ذلك لواسطة [illegible] في قلوبهم

بعض الاحساسات الدينية او اعتبار للأدبية فيولوا مدبرين

ثم غاية هذه الاسئلة ليظهر المرشحون للمسونيـــة هل هم على شيء من الدين ام هم خالعون وما هي ادبيتهم لان الذين يطرحون كل ديانة وينكرون كل ادبية هم اكثر موافقةً للمسونية وجديرون بالترقي سريعًا في معـــارج الدرجات المختلفة . اما الذين ليسوا بعد بخالعين عذار الدين والاداب فالمسونية تدعهم في درجة المبتدئ المسوني حتى انهُ بمعاشرتهِ سائر الاعضـــاء المفسودين يتخلق باخلاقهم ويفسد ايمانهُ وآدابهُ ويمسي ثمت موهلًا للصعود الى درجة اعلى

والخلاصة ان المسونية ابنة الحية الجهنميـــة التي اغرت ابوينا الاولين . هي محتالة خدَّاعة كامّها فلا تجرع المرشحين سمومهـــا الناقعة الّا بقدر ما يطيقون احتمالهـــا دون كرهٍ ولا تقيوء . ولذا نسمع سذَّج المسونيين يثنون على جمعيتهم بسلامة نية وينادون ببساطة وغباوة بان ليس فيها سوء البتة . لكنهم على غرور مبين وضالون ضلال حواء جدتنا التعيسة المنخدعة بالظرافة الخارجية التي للثمرة المحرمة . لكن لا بد وان يشعروا مثلهـــا يومًا بمرارة ثمرة المسونية القتالة

٥ فاذا كان المحفل لم يرفض قبول المرشح بسبب اجوبتهِ على الاسئـــلة السابقة ولن يرفضهُ ابدًا رجع اليهِ الاخ المهول فعصب عينيـــهِ ثانيةً وجعل في عنقهِ حبلًا يمسك طرفهُ بيدهِ وجرَّهُ الى باب الهيكل حيث يصدمهُ بقوةٍ ثلاث صدمات . ويقتضي حينئذٍ ان المراقب الاول يخبر رئيس المحفل بهذه الصدمات التي قرع بها الباب

وبعد مفـــاوضة تدور بين الرئيس والمراقب الاول والاخ المهول يدخل المرشح الى الهيكل ويقام بين العمودين فيستلّ وقتئذٍ الاخ المهول حسامهُ ويكز برأسهِ صدرهُ من الجانب الايسر ويبتدأُ اذ ذاك بالاسئلة والاجوبة التالية

الرئيس : « بمَ تشعر وماذا ترى »

المرشح : « لا ارى شيئاً لكني اشعر برأس سلاح »

الرئيس : « اعلم ان السلاح الذي تشعر برأسهِ واكزاً صدرك هو كناية عن دود الضمير الذي ينخس قلبك اذا افضت بك تعاسة الحظ الى ان تخون يوماً الجمعية التي تلتمس ان تُقبَل فيها وان حالة العمى التي تراك فيها انما هي رمزٌ عن الظلمات التي يخبط فيها كل انسان لم ينخرط في سلك الماسونية . اجبني ياصاح هل تقدمت الى هنا بحرية دون اكراه ولا اغواء »

المرشح : « نعم يا سيدي »

الرئيس :« تأمل حسناً في ما انت صانع فيقتضي عليك تحمل امتحانات هائلة . أفتراك شجاعاً تقتدر على اقتحام جميع الاهوال التي تكون لها هدفاً »

المرشح : « نعم يا سيدي »

الرئيس : « اذن لا اتحمل عنك ادنى مسؤلية . . . تعالَ ايها الاخ المهول وجرَّ هذا النجس خارج الهيكل وقُدهُ الى كل الامكنة التي يقتضي ان يجتازها المنتمي (اي الانسان القابل الموت) التائق الى معرفة اسرارنا »

وعندئذ يساق المرشح وعيناه معصوبتان ايضاً الى خارج المحفل . وبعد ان يدار عدة دورات على ذاته لكي لا يعرف من حيث اتى يُرجع به الى المحفل الذي يفتح بابهُ ذو المصراعين حتى لا يعرف المرشح انه رجع الى المكان الذي اخرج منهُ وقد أُعدَّ فيه اطار فارغهُ مغشَّى بورقٍ وقد امسك الاخوة باطرافه وهو آلة الامتحان الاولى

فيسأل الاخ المهول « ماذا يُعمل بالنجس » فيجيبهُ الرئيس « ادخلهُ الى المغارة » وحينئذٍ يثب اثنان من الاخوة على المرشح ويمسكان به ويدفعانه بكل

قوّةٍ على الاطار فينشق الورق ويعبر فيهِ المرشح المسكين ظانّاً انهُ حبس في المغارة وحينئذٍ ينقطع كل صوت ويكون سكوتٌ تامٌ كسكوت القبر

وبينما الحال على هذا المنوال اذا بالرئيس يقرع بالمطرقة قرعة شديدة ويأمر ان يقام المرشح بجانب المراقب الثاني جاثياً على ركبتيهِ. ثم يتلو باسم المرشح واسم المحفل صلاةً لمهندس الكون العظيم ثم يسألهُ بعض اسئلةٍ بعد ان يكون قد أجلس على مقعدٍ مزعج غير مهندم ذي ارجلٍ غير مستوية بالطول . والقصد في ذلك ان يرى هل التشويش الطبيعي يكدر صافي افكار المرشح

وبعد هذا الفحص الذي يكون مدارهُ على قضايا مما وراء الطبيعة يسأل الرئيس المرشح هل يثبت في قصدهِ بان يكون مسونيّاً . وعند اجابتهِ بالايجاب يقول الرئيس « ها انا ذا اعلمك بالشروط التي تؤهلك لتكون بيننا مقبولاً اللهم اذا خرجت ظافراً من ميدان الامتحانات التي يترتب عليك تحملها . واول فرض تتعهد بحفظهِ واتمامه هو ضرب حجاب سكوت مطابق على اسرار المسونية. والثاني محاربة الاهواء التي تحط قدر الانسان وتجعلهُ شقيّاً وممارسة الطف الفضائل واقدرها على فعل الخير كاغاثة الاخ آن الخطرِ وملافاة احتياجاتهِ وانجادهِ حين الضيق ونصحه بارشاداتٍ اذا كان على جرف السقوط وتنشيطهِ على عمل الخير عند سنوح الفرص. هذا هو الدستور الذي يجري عليهِ المسوني . والغرض الثالث حفظ القوانين المسونية العمومية والسنن الخصوصية المفروضة في المحفل (الذي تنضم اليهِ) واجراء كل ما هو مرسوم باسم اغلبية هذه الجمعية الجليلة »

ثم يشفع الرئيس كلامهُ السابق بقولهِ « اما الان وقد عرفت واجبات المسوني الاولية أفتراك قادراً على اتمامها عملاً »

المرشح : « نعم يا سيدي »

الرئيس: « قبل ان نتقدم الى ما قدام نطلب منك اقسام يمين الشرف لكن هذه اليمين يقتضي ان تقسم على كأس مقدسة فان كنت صادقاً تمكنت من تجرّعها بثقة لكن اذا كان الكذب والغش قد رسبا في قعر قلبك فاياك ان تحاف بل اولى لك ان تبعد هذه الكاس وان تخاف من المفعول السريع الذي للشراب المهول المصبوب فيها ... افتقبلنَّ اذن بالحلف »

المرشح : «نعم سيدي »

الرئيس :« قربوا هذا الطالب من المذبح وانت ايها الاخ المضحي قدّم لهذا الطالب الكأس المقدسة المنقلبة بالشؤم والويل على الناكثين »

فيذهب الاخ المهول بالمرشح الى امام المذبح ويدفع اليه كأساً لها وعاءان يداران على قطر واحد في الوعاء الواحد ماء زلالٌ وفي الوعاء الآخر شراب ممزوج بمرارة

فيقول الرئيس للمرشح : « أعد بعدي ايها النجس يمينك : « اتعهد بان احفظ الحفظ المدقق الشديد جميع الفروض المرسومة للمسونيين واذا نكثت يميني... »

وهنا يتقدّم الاخ المهول ويسقي المرشح وعاء الكأس الذي فيه الماء الزلال ثم يوقفهُ ويدير الوعاء برشاقة بحيث يضحي وعاء المرارة من جانب المرشح

ثم يستوفي الرئيس تلاوة اليمين

« ... فانا اقبل ان حلاوة هذا الشراب ينقلب الى مرارة وليصر لي مفعولهُ النافع كمفعول سم ناقع »

وحينئذ الاخ المهول يسقي المرشح الشراب المرّ فيضرب الرئيس بالمطرقة

ضربة عظيمة ويصرخ قائلًا : « ماذا ارى فيك ايها الطـالب ماذا يعني هذا الانقلاب السريع البادي على ملامحك. هل ياترى ضميرك كذّب شهادة فيك او حلاوة هذا الشراب انقلب الى مرارة .... فليبعد النجس »

ولم تكن هذه اليمين باليمين الحقيقية انما كانت محض امتحان . اما اليمـين الصادقة فستأتي بعد

ثم يساق المرشح الى وسط العمودين فيقول لهُ الرئيس ايضاً « اذا كنت يا صاح عازمًا على مخادعتنـا فلا ترجونَّ الوصول الى ما انت ساعٍ وسوف توضح لنا بقية الامتحانات ذلك كله جليًا . فثق بكلامي انهُ اولى لك ان تنسحب من فورك ما دمت الآن حرًّا وان ترقبت مهلة أُكرت عليك ولات حين ترقُّب . وان اطلاعنا الاكيد على خيانتك سيكون عليك شؤوماً ويقضي عليك ان تعدل عن ان تبصر نور النهار الى الابد . فتبصَّر اذن برصانةٍ فيما عليك ان تفعل ... هلمَّ ايها الاخ المهول واسحب هذا النجس وأَجلسهُ على مقعد الافـكار »

ويعقب هذا الكلام ضرب مطرقةٍ ضربةً عظيمة وبينما يهتم الاخ المذكور بانجاز الامر الصادر يقول الرئيس « فليدفع الى ضميرهِ وليضف الى الظلمة التي تغشي عينيهِ خوف الاختلاء المطلق »

وبعد مرور بعض دقائق بتمام الصمت والهدو يستأنف الرئيس كلامهُ قائلًا : « أقتنعت يا صاح كل التمعن بالحالة التي تراها موافقة لأن تحيز فيها . أتعدل مبتعدًا او تداوم صابرًا على تحمُّل سائر الامتحانات » ولدى اجابة المرشح بانهُ راغب في الثبات على باقي الامتحانات حتى النهاية يقول الرئيس : « ايها الاخ المهول اذهب بهذا النجس لعمل السفر الاول واجتهد بان تحميهُ من كل اذًى »

فيدور المرشح المعصوب العينين حول المحفل ثلثاً منقاداً للأخ المهول ثم يمرّ على الواح مضطربة موضوعة على بكرات غير مستوية لا يضع قدمه عليها الا زلقت وعلى الواح منصوبة كالاراجيح حتى اذا وطئها انحنت وكادت تخسف فتلقي به في هاوية . ثم يرقى درجات « السلّم التي لانهاية لها » يرقى زمانا طويلًا فاذا شاء الوقرف يؤمر بالصعود ايضاً حتى يظن نفسهُ بلغ قمة باذخة وحينئذٍ يؤمر بان يطرح نفسهُ الى اسفل . . . فيسقط من علو ثلث اقدام . ويصحب هذا الامتحان دوي ارياح وصوت برد وقصيف رعد . والى هذا العذاب المخيف يضاف عويل اطفالٍ وصراخات مهولة . وهنا تمام الرحلة الاولى وعند الفراغ من الرحلة الاولى يجيء الاخ المهول ويقود المرشح لدى المراقب الثاني الذي تضرب كتفهُ ثلثاً بيد المرشح فيقوم المراقب الثاني ويضع مطرقتهُ على قلب المرشح ويسأله : « من ذا الذي هنا »

فيجيب الاخ المهول « هذا نجسٌ يطلب ان يكون مسونيًا »

— « وكيف تجرأ على ترجي ذلك »

— « لانهُ ولد حرٌّ وهو ذو اخلاق مرضية »

— « بما انهُ كذلك فيمرّ »

فيسأل الرئيس المرشح قائلًا : « ايها النجس أأنت مستعد للسفر رحلة ثانية »

— « نعم سيدي »

فهذه الرحلة الثانية تشابه كل المشابهة للاولى ولو كانت المخاطر الوهمية مباينة لها . والرحلة الثالثة تحاكي ايضاً الرحلتين الاوليين على ان المراقب الاول بعد الرحلة الثانية والرئيس بعد الرحلة الثالثة ينطقان بمثل ما نطق المراقب

الثاني . ويجيب الاخ المهول « ان المرشح ولد حرًّا . وانه ذو اخلاق مرضية » يقول الرئيس « بما انهُ كذلك فليمرّ بالشهب المطهرة حتى لا يبقى فيهِ اثرٌ من النجاسة »

وبينما المرشح منحدرٌ على درجات الشرق ليرجع الى ما بين العمودين يكتنفهُ الاخ المهول بالشهب ثلاثاً (١)

وحينئذٍ يبشر الرئيس المرشح ان اسفاره قد انتهت قائلاً : « ايها النجس لقد طهرت بالارض والهواء والماء والنار فلا اتماسك عن ان اثني على شجاعتك فلا تفارقنك بعد لانه قد بقي عليك بعض امتحانات يقتضي تحملها ايضاً . والجمعية التي ترغب في الانخراط فيها لعلها تتطلب منك ان تبذل دونها دمك حتى آخر نقطة أَ فأنت مستعدٌ »

وحين يجيب المرشح بالقبول ينخس نخسة خفيفة في حبل ذراعهِ فيوهمونه ان دمهُ جارٍ من يده بغزارة وذلك بحيلة لا حاجة الى شرحها هنا . ثم يأتون المرشح بعصابة ويربطون بها ذراعهُ

ثم يطلبون من المرشح ان يطبع على صدره طرف شمعة متقدة قد اطفاوه، سريعاً او يأتون بمجمرٍ قد احرقوا فيه ورقاً ويضعونه على صدره

---

(١) وذلك بواسطة مصباحٍ ليكوبودي وهو بشكل انبيق معدني طرفهُ الواحد مفتوح على هيئة مصب وطرفهُ الآخر فيهِ قنديل مما ينار بروح الخمر (السبيريتو) من حولهِ ضرب من الاكليل مخلل تقوبهُ معدّة ليمر بها بارود سريع الالتهاب يعرف بالليكوبود موضوع داخلاً فيكون الذي ينفخ بهذه الآلة يلهب المصباح

وليس للامتحان الاخير مثل ما لسائر الامتحانات السابقة . ويطلب الرئيس من المرشح ان يهمس في اذن الاخ المقري الضيوف التقدمة التي يشا ان يبذلها للمسونيين الفقراء

اخيرًا يبشر الرئيس المرشح بانقضاء الامتحانات قائلا « ها قد اوشكت ياصاح ان تجني ثمر ثباتك في الامتحانات وعواطفك ا كالية القبول لدى مهندس ا لكون العظيم عواطف التقوى والشهامة التي ابديتها . هلمّ ايها الاخ وكيل الاحتفالات وسلم المرشح للاخ المراقب الاول ليعلمهُ ان يخطو الخطوة الاولى على زاوية مربع طويل وانت تعلمهُ سير الخطوتين الاخريين ثمّ تقوده الى مذبح الأيمان » (من تراه يمسك نفسهُ عن الضحك)

اما الخطوات الثلث على زاوية مربع طويل ففيها تقوم « درجة المبتدى » وبعد ان ينال المرشح هاتهِ الدرجة الاولية التي تكون له اعظم غرور وخداع اذا علق الامل بالدخول في شيء آخر مهم يُساق الى مذبح الايمان حيث يجثو راكعا ويأتي الاخ وكيل الاحتفالات ويخزه في جهة صدره الشمالية برأس بيكار يكون مهيأً موضوعا مع زاوية وسيف براق على توراة مفتوحة على المذبح

ثم يدعو الرئيس كل اهل المحفل ليشتركوا بالعمل الموشك ان يتم قائلا . قفوا والزموا الترتيب يا اخوتي . فان المرشح عتيد ان يقسم اليمين المهولة ، فينتصبون جميعهم ويستلون سيوفهم ويقفون الوقفة الرسمية الخاصة ويشرع المرشح باقسام اليمين المطلوب منهُ اقسامها وهي .

« اقسم باسم مهندس جميع العوالم السامي ان لا افشي اسرار المسونيين ولا علاماتهم ولا اصطلاحاتهم السرية ولا اقوالهم ولا اعمالهم ولا عوائدهم وان اسدل على ذلك حجاب سر ابدي . اني أشهد الله و عدا ان لا اخون

بشيءٍ من كل ما اطلعت عليهِ حتى هذه الساعة او ساطلع عليـهِ في المستقبل لا بالقلم ولا بالاشارات ولا باللسان ولا بالحركات ولا اكتب او اطبع او اشهر منهُ شيئاً ابدًا. اني اتعهد بذلك واذا حنثت في يميني اقبل ان يحل بي العقاب الآتي : ان تحرق شفتاي بحديد محمًى وتقطع يداي ويستأصل لساني ويجزّ عنقي وتُعلق جثتي في احد المحافل عند قبول اخٍ جديد لتكون فضيحةً لخيانتي وخوفاً وعبرةً للاخرين ثم تحرق ويذرُّ رمادها في الهواء حتى لا يبقى أثر من ذكر خيانتي واني واثق بمعونة الله وكتابه المقدس آمين »

ثم يقود الاخ وكيل الاحتفالات المرشح الى ما بين العمودين ويأتي سائر الاخوة ويصطفون حولهُ على شكل دائرة ويشرعون عليهِ سيوفهم مسلولة حتى يصبح بينهم كنقطة تتجه اليها كل السيوف من كل جانب ويقف وكيل الاحتفالات من ورائهِ ويحل عقدة العصابة التي لم تزل تستر عيني المرشح ولكن دون ان ينزعها ويقف امامهُ اخٌ آخر حاملًا مصباح الليكوبود . فيقول الرئيس

« ايها الاخ المراقب الاول انظر هذا المرشح الذي اخرجتهُ شجاعتهُ وثباتهُ منتصرًا من ميدان الامتحانات الطويلة هل تحكم بقبولهِ فيما بيننا »

المراقب الاول « نعم ايها الرئيس »

الرئيس « ماذا تطلب لهُ »

= « النور »

= « ليكن النور »

وحينئذ يضرب الرئيس بالمطرقة ثلث ضرباتٍ كبيرة وعند الضربة الثالثة تسقط العصابة عن عيني المرشح ليبهر بصرهُ على الفور بالشهب الصادرة من مصباح الليكوبود الذي ينفخ فيهِ الاخ حاملهُ وعلى هذا النسق تكون قد

تمت عملا كلمة لرئيس « ليكن النور »

وحالما يرى المرشح هذا النور الباهر وكل السيوف مشرعة عليه من كل الجوانب يسمع جميع الاخوة يصرخون بصوت واحد « فيعاقب الله الخائن » اما الرئيس فيسكن روعهُ بقولهِ له « لاتخشَ شيئًا يا اخي (١) فان هذه السيوف الموجهة اليك لا تتهددك الّا اذا كنت خائنًا . فاذا ثبتّ مينًا لمسونية كما نؤمل منك ذلك فهذه السيوف تكون مستعدة دائمًا لمحاماة ذاتك . اما اذا دهاك سوء الحظ وصرت لها خائنًا فاعلم ان لا مكان في كل الارض يستطيع ان يحميك من هذه الاسلحة المنتقمة » . فيرد الاخوة سيوفهم الى اغمادها ويأمر الرئيس فيقاد الاخ الجديد بيد وكيل لاحتفلات الى المذبح حيث يركع ايضًا . فيأخذ لرئيس من على المذبح السيف البراق ويضع طرفه على رأس الاخ الجديد ويسميهُ « مبتدئًا مسونيا » بقوله له

باسم مهندس الكون العظيم وبقوة السلطة التي فوضت اليَّ انا اقيمك واجعلك مبتدئًا مسونيا وعضوًا لهذا المحفل الموقر »

ثم يضرب الرئيس بالمطرقة ثلاث ضربات على نصل السيف وينهض الاخ الجديد ويشدُّ وسطهُ بمئزر من جلد ابيض ويعطيه قفزين (اي زوج كفوف) بيضاوين يلتزم المسوني ان يلبسهم في الحفل رمز عن طهارته . ويهبهُ ايضًا قفازين نسائيين يقتضي عليه ان « يهديهما الى من هي احب اليه اخيرًا » يوحي اليهِ الاسرار المختصة بدرجة مبتدئ مسوني ويقبلهُ القبلة الاخوية المثلثة »

---

(١) لا يدعوهُ من ثمَّ الّا بهذا لاسم « يا اخي »

ثم يرجع الاخ الجديد الى ما بين العمودين لينادى بهِ حاصلا على رتبتهِ الجديدة ويامر الرئيس فيصفق جميع الاخوة بايديهم ويهتفون بالاصوات المعتاد تكرارها عند دخول اخ جديد

ثم يلبس الاخ الجديد ثيابهُ ويقودهُ الاخ وكيل الاحتفالات الى اقصى شرق العمود الشمالي حيث يجاسهُ بصفة طالب الدخول على مقعدِ خصوصي . وحينئذٍ ينطق الاخ الخطيب بخطبةٍ جهارية تنتهي بها الحفلة

وانما اسهبنا الكلام قليلًا في رتبة قبول المبتدئ المسوني لان التفاصيل المشتملة عليها تغنينا عن تطويل الشرح في الكلام عن قبول الرفيق والمعلم لان الشعبذات نفسها تصنع في كل الاحتفالات المسونية

٤ اما الدرجة الثانية من المسونية الخارجية فهي درجة الرفيق .

فالمبتدئ الذي « يلتمس زيادة في الاجرة » (كذا يقال في اصطلاح المسونية) اي الذي يريد ان يصير رفيقاً لا يؤتى به الى المحفل مقودًا بيد وكيل الاحتفالات كما يؤتى بالنجس ولا تستر عيناهُ بعصابةٍ لانه طالب النور فأُجيب « ليكن النور » بل يحضر حاملًا بيده مقياساً طرفهُ على كتفه الشمال . وعند وصولهِ الى باب المحفل يأمرهُ وكيل الاحتفالات فيضرب على الباب ضربة مبتدئ فيسأل الرئيس « من ضرب » : فيجيب وكيل الاحتفالات : « هو مبتدئ يطلب الاجتياز من الخط العمودي الى الخط المستوي »

٥ اما الدرجة الثالثة من المسونية الخارجية فهي درجة المعلم . فالمحفل الذي يسمى اليوم « غرفة الوسط » يوشح بالسواد وتظهر صورة جماجم الموتى وهياكل جثثهم (بعد تجردها من اللحم) وبعض عظام منفردة مرسومةً باشكالها البيضاء على تلك الجدران السوداء وترى شمعة صفراء موضوعةً في ناحية

الشرق ومصباحا قائما مؤلفا من جمجمة ميت يخرج النور من نافذتي عينيهــا موضوعاً على مذبح الرئيس الذي لا يوصف من الآن وصاعداً بنعت المحترم بل بنعت الكلي الاحترام . وتلك الشمعة وهذا المصباح يبعثان الى حجرة الوسط نوراً كافياً لتمييز تابوت يمثل فيه الميت باحد الاخوة الخدمة او بتمثال رجل خشبي او حسب رأي الاخ كلافل بآخر من رقي درجة معلم مسوني . وعلى رأس التابوت زاوية وعلى طرفه الممتد نحو الشرق بركار مفتوح وفوقه غصن من شجرة الاقاقيا المعروفة عند العرب بالسنط او القرظ . ويتشح جميع المعلمين المسونيين باثواب سوداء وفي بعض المحافل يأتزرون بمئزر اسود عليــه صورة جمجمة وفي جميع المحافل يلبسون ضفيرة عريضة من نسيج ازرق متماوج تمتــد من الكتف اليسرى حتى الورك اليمنى وعليها رسوم الشمس والقمر والكواكب السبعة مزركشة

وبعد ان يكون « الكلي الاحترام » والاخوة المعلمون عملوا بعض سعبذات تحاكي السابقة الذكر يقاد الرفيق المرشح للارتقــاء الى درجة معلم مسوني حافياً وقد جردت ذراعه اليسرى مع جنب صدره الايسر وعلى دره اليمنى زاوية ويقاد الى باب حجرة الوسط اما من وكيل الاحتفالات (حسب المحافل الايكوسية) واما من الاخ الفاحص (حسب استعمال المحافل الفرنسية) واما من الاخ اول الشمامسة (كعادة المحافل الانكليزية والاميركية) . والقائد يمسك بطرف حبل يكون مشدوداً به وسط المرشح ثلاث طيــات ويأمره ان يدق دقة الرفيق المصطلح عليهــا « وحين استماع هذه الدقة يهتز الحاضرون حسب رواية الاخ كلافل ويصرخ المراقب الاول « بصوت مدمدم » :

« يا كلي الاحترام ها رفيق يقرع الباب »

الكلي الاحترام : « انظر كيف استطاع الدخول واعرف من هذا الرفيق وماذا يريد »

المراقب الاول « هذا وكيل الاحتفالات يقدم للمحفل رفيقاً تم زمانهُ وهو يطلب ان يُقبل في درجة المعلم »

الكلي الاحترام « لِمَ جاء وكيل الاحتفالات الان يكدر صافي حزننا . ألم يكن الاجدر بهِ بالعكس ان يبعد في مثل هذه الحال كل شخص يشتبه بهِ ولاسيما رفيقاً . ومن يعلم مع ذلك ان كان هذا الرفيق الذي يقودهُ ليس من التعساء الذين هم علة اسفنا وان كانت السماء هي نفسها ليست بالتي تدفعهُ الينا فريسة لانتقامنا العادل . هلم ايها الاخ الفاحص شكّ سلاحك واقبض على هذا الرفيق وفتش باهتمام كل اقنومهِ ولاسيما يديه وتحقق اخيرًا اذا لم يكن عليهِ ادنى أثر يدل على اشتراكه بالجريمة الفظيعة التي اقترفت »

فيتمم الاخ الفاحص اوامر الكلي الاحترام اذ يخرج من حجرة الوسط ويشرع بتفتيش الرفيق فيخلع عنهُ مئزرهُ ثم يعود تاركاً اياهُ خارجاً يحرسهُ اربعة من الاخوة شاكي السلاح

الفاحص « يا كلي الاحترام لقد اكملت الاوامر فلم ارَ في هذا الرفيق شيئاً يدل على انهُ ارتكب جناية قتل فان ثيابهُ بيضاء ويديه نقيتان وهذا مئزره جئتك به فهو لا دنس فيهِ »

الكلي الاحترام « ايها الاخوة المكرمون ان شاء المهندس العظيم فلتكن الدلالة القلبية التي شعرت بها لا اساس لها وليكن هذا الرفيق ليس من الذين يقصدهم انتقامنا . ومع ذلك أ فلا ترون موافقاً ان نستفهم لعلّ اجوبتهُ تنبئنا بلا شك عما يقتضي ان نفتكر في شانه » واذ يشير جميعهم اشارة القبول

يستأنف الكليّ الاحترام كلامهُ يقول :

« يا اخًا فاحصًا اسأل هذا الرفيق كيف تجرّأ ان يؤمل الدخول بيننا ،
فيلقي هذا السؤال على الطالب الدخول (اي الرفيق) فيجيب انهُ انما تجاسر
على تأميل الدخول بلفظ كلمة المرور

وحينئذٍ يضطرب الكلي الاحترام ويقول « كلمة المرور . . كيف استطاع
معرفتها فهذه المعرفة لا يمكن ان تكون الا نتيجة عن جنايته . . . فياذا الاخ
المراقب الاول المكرّم اقترب منهُ وافحصهُ بتدقيق شديد »

فيخرج المراقب الاول من غرفة الوسط اتماما لاوامر الكلي الاحترام فيفتش
ثياب الرفيق بكل اعتنا ، ثم يفحص عن يده اليمنى فيصرخ بارتجاف « يا للآلهة
العظام ماذا رأيت » ثم يقبض على عنقه ويستحلفهُ ان يقر بجناياته ويقول له
« كيف نطقت بكلمة المرور ومن الذي اطلعك عليها »

اما الرفيق الذي هو بريءٌ من الجناية المتهم بها فيجيب ببساطة « كلمة
المرور لست اعرفها فعلى قائدي ان يعطينيها »

فعند تقدمة هذا الجواب الفخم الكلي الاحترام يقول « اعطه اياها ايها
الاخ المراقب الاول الموقر »

وبعد اعطاء كلمة المرور يقتاد الرفيق الى حجرة الوسط بخطوات متقهقرة
دون ان ينظر التابوت لان وجهه يكون متجها الى الغرب وظهره الى الشرق
وعند وصوله الى قرب التابوت يلتفت الى الشرق

فيقول له الكلي الاحترام « ايها الرفيق يجب عليك ان تكون جزيل
الفطنة . لا تهزك المقادير حتى تحضر الى هذا المكان الان حيث نبكي حزينين
على رئيسنا الموقر ادونيرام المقتول خيانة من ثلاث رفقاء وحيث ان جميع

الاخوة الذين من رتبتك يحق لنا ان نشكك بهم مرتابين فقل لي يا رفيق هل تدنست بهذه الجريمة الفظيعة وهل انت احد الفجار الذين ارتكبوها. انظر عملهم »

ويرى الرفيق الميت مبسوطاً في تابوتهِ

فيجيب الرفيق بسذاجة انهُ براء من مقتل هذا المعلم ادونيرام الموقَّر .

فيكتفي الكلي الاحترام بهذه التبرئة ويأمر بتسفير الرفيق

ولقد ذكرنا شيئاً عن هاتهِ الاسفار السرية . وهنا ايضاً وكيل الاحتفالات هو الذي يقود المسافر لكن يرافقهُ هذه المرة مع اربعة اخوة مدججين بالسلاح والاخ الفاحص يسعى وراء الرفيق ممسكاً بيده طرف الحبل المشدود بهِ وسطهُ

وعند ما ينتهي الرفيق من سفره هذا يضرب ثلاثاً كتف الكلي الاحترام فيقول الكلي الاحترام « من الذاهب هناك »

وكيل الاحتفالات « هو رفيق انهى زمانه ويطلب ان يعبر الى غرفة الوسط

— « كيف يرجو البلوغ اليها »

— « بكلمة المرور »

— « كيف يعطاها اذا لم يكن لها عارفاً »

— « ها انا ذا معطيها لهُ »

وحين اعطاء كلمة المرور يقاد الرفيق الى جانب الغرب ويرجع بهِ منهُ الى الغرب ماراً على الدرجة السرية المختصة برتبة المعلم وحين وصولهِ الى المذبح يجثو راكعاً ويوخز صدره بطرفي البركار المفتوح ويُقسم اليمين . ويقول لهُ الكلي الاحترام :

« قم ايها الاخ فلان فستكون ممثلاً لرئيسنا الموقَّر ادونيرام الذي قُتل

بشراسةٍ لما فرغ من بناء هيكل سليمان كما اقصُّ عليك ذلك الان »

اما الاخ المتأوت الذي يكون في التابوت فينسحب منهُ برشاقةٍ حتى اذا جاء الرفيق رأى التابوت فارغاً ينتظرهُ

وحينئذٍ ينزل الكلي الاحترام من عرشهِ ويقف في آخر درجات الشرق تجاه الرفيق ويصطف الاخوة حول التابوت ويأخذ الكلي الاحترام يقصُّ على الرفيق قصة المعلم ادونيرام الموقر المقتول بيد ثلاثة الرفقاء الغاضبين عليه لكونهِ ابى ان يزيد اجرتهم

واذ يقطع الكلي الاحترام سياق قصة المعلم ادونيرام الموقر يقود وكيل الاحتفالات الرفيق الى امام المراقب الثاني

المراقب الثاني : « اعطني كلمة المعلم »

الرفيق : « كلا »

وبعد اعادة هذا السؤال ثلاثاً وارادفه بالانكار ثلاثاً يضرب المراقب الثاني الرفيق على عنقه بالمقياس ثم يرجع به الى امام الكلي الاحترام الذي يستأنف ايراد قصة باني هيكل سليمان . ولا يلبث ان يقطع سياقها مرة ثانية وحينئذٍ وكيل الاحتفالات يقود الرفيق قرب المراقب الاول الذي يسأله كلمة المعلم ثلاثاً فينكرها عليهِ ثلاثا فيضرب المراقب الاول قاب الرفيق بالزاوية كما ضرب جوبلوس المعلم ادونيرام الموقر

ثم يساق الرفيق قدام الكلي الاحترام الذي يستتلي قصة باني هيكل سليمان ثم يقطع حديثهُ ليصفع الرفيق على جبهتهِ بمطرقته كما فعل الرفقاء الاشقياء قتلة ادونيرام سان . ثم يثب على المصفوع اخوان واقفين على جانبيه وثوبهما على جثة ويطرحانه في التابوت ويغطى بغطاء الموتى ويوضع امامهُ غصن عرفد

ثم يستوفي الكلي الاحترام قصة ادونيرام الموقَّر ويقطع سياقها ليرسل الاخوين المراقب الاول والثاني تفتيشاً على هذا المعلم الموقَّر

فيقوم المراقبان ويطوفان حول المحفل كلٌّ من جانب مختلف يتجه الاول الى الشمال والآخر الى الجنوب . واذ يصل الاول الى التابوت يرفع عنهُ الغطاء ويضع غصن القرظ في يمين الجثـة او بالحري الرفيق المتماوت ثم يلتفت الى الكلي الاحترام ويقول : « لقد وجدت قبرًا حفر جديدًا فيهِ جثة اظنهـا جثة رئيسنا ادونيرام الموقر فغرست فيهِ غصن قرظ لاهتدي اليهِ سريعاً »

فيكمل الكلي الاحترام قصة المعلم ادونيرام المحترم واذ يفرغ منها تأخذهُ الحمية ليحذو حذو المعلمين التسعة المرسلين من سليمان الذين رأوا جثة معلمهم في جبل لبنان فيدور حول التابوت ويتبعهُ جميع الاخوة وعند وصولهِ الى يمين الرفيق يقف وينزع غصن القرظ الذي في يدهِ

وحينئذٍ يقول الكلي الاحترام « ها قد بلغنا الى المكان الذي لحد فيـهِ جسد معلمنا الموقر وهذا غصن القرظ علامتهُ المشؤمة هلم ايهـا الاخوة المحترمون نخرج جثتهُ » ثم يرفع الدثار ويكشف عن الرفيق كل الكشف فيمسك المراقب الاول بيـد المتماوت ليرفعهُ ويقول « ان الجلد قد افترق عن اللحم » ويقبض المراقب الاخر على اليد الاخرى ويقول « قد انفصل اللحم عن العظم » فيقول الكلي الاحترام « اذن انا امتحن واقيمهُ » ويلمس الرفيق لمسـة المعلم المصطلح عليها عندهم اي يبسط يمينهُ بسطًا كاملا آخذًا بها يد المتماوت ويضع رجليه بازاء رجليهِ وركبتيهِ بازاء ركبتيهِ ويمسكهُ بيدهِ اليمنى وينهضـهُ واضعاً يده اليسرى على كتفـهِ اليسرى ويهمس في اذنهِ اليمنى كلمة ((ماك)) وفي اليسرى لفظة ((بناك))

فيترنم الاخوة ترنيمة فرح ويجدد الاخ اقسام اليمين « بان لا يفشي بشيء للاخوة الادنين ولا للانجاس الخارجين » وحينئذ يثبت ويشرك . والاشراك بالدخول يقوم باعطاء كتاب التعليم المسوني وعلامة المعلم المصطلح عليها . وهذه العلامة تقوم باطباق اصابع اليد اليمنى الاربعة على الكف ووضع الابهام على البطن حتى يتكون من ذلك شكل زاوية ويوضع قفا اليد امام العينين والابهام مدلى الى اسفل . ويذكر كتاب التعليم المسوني ان هاته العلامة تسمى علامة الرعب . « لانها تعني ذلك الرعب الذي اخذ المعلمين عند ما عثروا على جثة ادونيرام »

واذ ينادى بالمعلم الجديد ويعرف يجاس في ناحية الشرق من عن يمين الكلي الاحترام وينطق الاخ الخطيب بخطبة طويلة يوجهها اليه ويكون بها ختام الحفلة

الفصل الثامن

درجات المسونية الداخلية

١ ها قد بسطنا الشرح باسهاب كافٍ عن ثلاث درجات المسونية الخارجية والظاهرة التي هي لهذه الشيعة الممقوتة من الثمرة بمنزلة القشر الذي تسترها او بمنزلة الجسد من النفس التي تحييه. ونفهم بنفس المسونية كل ما تخفيه وتجتهد في [illegible] عن معرفة البشر لان في ذلك مقر خبثها الشيطاني وسمها القتال واسرارها خبيثة

ولا شك بأن القراء الاذكياء لدى مطالعتهم الاحتفالات الجارية عند قبول [illegible] المسوني او الرفيق او المعلم المسوني يأخذهم الاندهال لا محالة من أن بعض الشرفاء والاغنياء والعلماء يرتضون في كل زمان باحتمال كذا امتحانات صبيانية وكذا امور مستهجنة لينالوا الشرف بان يكونوا مسونيين. ولكن أيعدّ شرفًا الدخول في جمعية قد حرمت مرارًا كثيرة من كنيسة يسوع المسيح التي لما كانت معصومة ترتب عليها ان لا تشجب الا كل ما هو رديء ومضر للنفوس في جمعية مكروهة من جميع اهل الفضل والصلاح . في جمعية يكرهها جميع الذين لهم ادنى المام بتاريخ نشأتها وانتظامها واعمالها ولا يصدقونها في ما تدعي زورًا من انها جمعية احسان ومدرسة تمدّن. فأين محسنوها واين النجاح الذي نالته في التمدن الحقيقي تمدن البشر الأدبي. فليس فقط ان الانخراط في سلكها ليس بشرف بل هو هوان وعار وحماقة كبرى

ولا يخفانا ان بعض الكتبة المسونيين افرغوا السعي في ان يخفوا عن الناس درجات المسونية السرية بانكار وجودها او بادعائهم ادعاء الاخ راكون المسوني

ان هذه الدرجات ليست مسونية او هي فرق منشقة عن المسونية التي لا تتمم شركتها (١)

٢ لكن الاخ راكون نفسه قد فرط من قلمه الاقرار بالسبب الذي لاجله يذكر تلك الدرجات السرية قال « ان هذه الدرجات العليا هي التي ... على المسونية الابصار في هذه الايام الاخيرة وايقظت الاذهان وكانت ... الاضطهادات التي انزلتها بها السلطة والبغضة التي ... الكتاب ... المسونيين » (٢) ولا ريب في ان الاخ راكون قال الحق لان المؤرخ كريتنوجولي يذكر في تاليفه (الكنيسة بازاء الثورة) عدة رسائل كتبها المسونيون اصحاب الدرجات العالية مثل نوبيوس وبكولونيكري وقد وقعت في ايدي ... غريغوريوس السادس عشر وهذه الرسائل قد فشت اسرارا فظيعة اجبرت الحكومة البابوية على اتخاذ الاحتياطات اللازمة احباطاً لمآرب ... الثورية وحملت البابا غريغوريوس على اذاعة منشور فيه يذكر هذه المآرب ... التي اساسها الاول ثل العرش البابوي والمناداة بالجمهورية في رومية ... شكك رؤساء المحفل الاعلى بالمسوني نوبيوس الذي كان يهودي ... اولا وقد خيل للناس انه كاثوليكي صحيح ثم عرف انه مسوني من ... وخافوا من انه يفشي باسرار الشيعة ويكره على التصريح باسما كبار رؤسائها دبروا بالسر وسيلة لموته وهي انهم جرعوه ضربا من السم بطيء التاثير فمات بعد ايام دون ان يأبه للدسيسة التي اخذ بها

---

(١) في كتاب المسونية المستقيمة الرأي صفحة ١١

(٢) ... صفحة ...

لكن اذا كان كبار المتوظفين المسونيين قد سببوا بواسطة مراسلاتهم المسونية نفسها عقابات وقصاصات سماها الاخ راكون بخطاء اضطهادات فلا ينتج من ذلك ان درجات المسونية السرية العالية ليست بدرجات مسونية فقط بل ينتج ايضاً كما يقول الاخ راكون ان هذه الدرجات خطرة ومتى عرفت الحقت بالشيعة المسونية ضررا جسيماً

ونرى هذا الاخ المسوني يناقض نفسهُ بنفسهِ اذ يقرُّ بان غاية هذه الدرجات العالية انما هي ان يحيي من الانجاس (الخارجين عن المسونية) وعن السلطة وجود المسونية والحقيقة المسونية الداخلية والسرّية التي فيها الدرجات الرئيسية (هكذا اصطلاحهم في الدلالة على الدرجات العالية)

٣ لان وان كانت الدرجات العالية موضوعة كقول الاخ راكون لاخفائها عن الانجاس وعن السلطة فقد كشفت مراراً عديدة اذ لا بدَّ من ان يصدق كلام المسيح القدوس ليس خفي لا سيظهر ولا مكتومٌ الّا سيعلن » ومن الغريب ان كثيرين من المسونيين قد اماطوا اللثام هم انفسهم عن اكثر اسرار المسونية خفاء وحسبنا ان نورد ما جاء به المسوني الالماني يوحنا ويت احد كبار المتقدمين في الدرجات السرية

قال في تذاكره السرّية (الصفحة ١٥ و ١٦ و ٢٠ الخ من الطبعة الباريسية)

« لقد انتشر اي اغترار كل من يظن انهُ يعرف المسونية او كنه غايتها الحقيقية بالدرجات الثلث الاولى (اي الخارجية) في هذه الدرجات لا يخرج من دائرة الادبية المسيحية ولا من الكنيسة ولذا يتوهم المقيدون فيها ان غاية الشركة امرٌ سامٍ وشريف وانها جمعية الذين يريدون ادبية اطهر وتقوى اقوى وتمجيد الوطن ووحدة ايطاليا لان يوحنا ويت يتكلم خصوصاً عن المسونيين

الايطاليان المعروفين باسم كربوناري (ي فحاميين)

٤ فتنبهوا واصيخوا سمعاً يا مسوني الشرق لمتدينين في مسوية الدين م

تعدوا درجات المسونية الخرجية الثلث التي ليست الا دهاليزا الماسونية

الحقيقية . ان احد اخوتكم المتقدمين والمتخلعين كل تعمق في حوال شركتكم

المقوتة ينبهكم بانكم على ضلال مبين اذا كنتم تظنون انكم تعرفون من لا

حقيقة السونية . فان كنتم لا تعرفونها فكيف رضيتم ان اسلموها نفوسكم

ألستم في ذلك على جانب عظيم من قلة الفطنة او لم تخبوا في تمييز نعمكم ه

ومع ذلك فانتم ترونكم رجالا حصفاء العقول منفدين بالعموه ومتدنيين . فدعوني

اشبهكم بالفار الذي ينجذب برائحة اجوز محرق او قطعة شحم اختزنه تي ... ق

في كلاب المصيدة فينساب الى الفخ لقنف شهوته ... ... باب الفخ

فيبقى سجينا حتى يدفع الى مخالب الهر الذي نجا منه عدة مرات

اصدقوا الخبر ايها السادة المسونيون ما الذي وجدتموه في محافل المسونة

دون بعض اعمال تسببية حيرة بالضحكات ... ولا ... ... ملا

لآكل والمشارب لاسك سكم ... تروا شيئا اكثر من ذلك

ولعلكم تقولون : ... بعد على باب الهيكل واقفون ولا نشك ... ...

ها المعدن ... الاشياء الجميلة ... ...

الباب ويوذن لنا بالدخول فيه ... ...

... عشا متأملون فتش ... ... سوف ... ... تذوقون في ...

الذي ... فيه واقفون ... ...

... كون المشهور دالسونية الخفية السونية ... الخفية ... ...

السرية اد لا ... ال ... ...

نزر يسير من الرجال المسونيين الذين اختبروا طويلاً وفقدوا كل روح ديانة وسدوا الآذان سداً محكماً عن استماع صوت ضمائرهم وهم مستعدون ان يعملوا كل شيء يؤول الى النصرة المسونية . فلا نظن انكم بلغتم الى هذا الحد من الفساد والغرور فعليكم اذاً ان ترتضوا بان تموتوا مسونيين دون ان تعرفوا ما هي المسونية

فان كان هذا يوافقكم فالبثوا في المسونية والّا فايقنوا انكم ركبتم متن الخديعة والغرور ولا تألوا جهدا بان تخرجوا من الفخ الذي سقطتم فيه لقلة فطنتكم وقصاصاً عن ضعف ايمانكم وفساد قلبكم

٥ لكن لنعد الى المسوني ويت ولننا على تتمة شهادته اذ يقول «كل شي ينقلب فيتغير بعد الدرجات الثلاث الاولى في الدرجة الرابعة وهي درجة (الرسول) يتعهد المرء بثل عروش الملوك ولا سيما الذين من آل بربون (١) ومع ذلك فلا ينشق الحجاب تماماً الا في الدرجة السابعة التي لا يبلغها من المسونيين الا نزر يسير ... وهذه الدرجة التي توجبها يكون المسوني اميراً واسقفاً في وقت واحد تشابه ما تسميه شيعة المنورين درجة لانسان الملك فالمنتظم في تلك الدرجة السابعة يحلف بهدم اركان كل دين وكل حكومة وضعية سواء كانت ملكية او جمهورية . ورئيس المسونيين في ايطاليا يستهزئ بجماهر اولئك المسونيين المعروفين بالمحامين الدين ضحوا نفوسهم للحصول على حرية ايطاليا

---

(١) لم يبق من الملوك من ذرية بربون جالسا على عرش الملك الّا ابن الملك الفونس ملك اسبانيا القاصر المولود في ١٧ ايار سنة ١٨٨٦ اما البقية فقد حطوا عن كراسيهم . فاعجب بقدرة المسونية التدميرية ....

واستقلالها (١) فلم تكن غاية المسونية لاحرية ولا استقلال ايطاليا بل مجرد واسطتان لبلوغ الغاية »

وقد امتنع يوحنا فيت عن ان يوحي الينا هذه غاية لكنا عرفنا من الغير وهي تقوم بانشاء حكومة جمهورية مسونية تكون في ذاتها هي الحكومة الحقيقية اي اللاحكومة كما قال برودون

٦ ولئلا ينكر احد القراء مقالنا او يكون على ريب من صدقه [illegible] ندعمه بشهادة هنري زشوك الذي كان من اكبر قدماء المسونيين واشهر الكتاب الشعبيين في سويسرة هذا اصدر سنة ١٨١٥ منشوراً الى كل المسونيين فيه حصر المسونية الداخلية كلها في ثلث نقط اساسية نص عليها ما ياتي

« اولاً : ان امرء المسوني بالمسونية يرقى نفسه كل تصور [illegible] ويكون اسمى من كل مقام او رتبة [illegible] كل مزية [illegible] سياسية

« ثانياً : ان المسونية واسطة علاماتها [illegible] الناس المتفرقين على سطح المعمور [illegible] الدافع الناشئ عنه الالهة البشرية »

« ثالثاً : [illegible] المسونية [illegible] التحرير [illegible] يجب على كل مسوني [illegible]

---

(١) [illegible]

[illegible] لدى [illegible]

[illegible] الثالث [illegible] في [illegible]

٧ فما هو اذن هذا السر الممتنع الايضاح والافشاء . ان هنري ترشوك يخفيه عنا اما المسوني دي هورد فيطلعنا عليه بانهُ يقوم بان هذا الاتحاد العظيم والعام ينشئ اسمى سلطة روحية على الارض (١) ويجب ان هذا الاتحاد يحظى ايضاً باسمى قوة سياسية بان يجلس على جميع العروش اي انهُ بروُسائهِ واتفاق جميع اعضائه يتسلط على جميع الملوك (٢)

فمن لاينذهل من هذه المناظر والمقاصد والمطامع المسونية ألا يتبين ان هذا كلهُ آئل الى قلب كل نظام الهي ... ان العناية الالهية هي التي اقامت خير الشعوب روءساء روحيين وزمنيين يأتمر الناس بالخضوع لهم لان الروح القدس قال لنا بفم رسول الامم (٣) « لتخضع كل نفسٍ للسلاطين العالية . فانهُ لا سلطان الّا من الله والسلاطين الكائنة انما رتبها الله . فمن يقاوم السلطان فانما يعاند ترتيب الله والمعاندون يجلبون دينونة على انفسهم . لان خوف

---

(١) فمن ثم يتضح ان سلطة المسونية الروحية الوهمية تفوق سلطة الكنيسة الكاثوليكية ورأسها المنظور الذي هو نائب المسيح على الارض وتتقلد منهُ كل سلطته . فمن اين للمسونيين سلطتهم روحية كانت ام مدنيــة . هل من لدنه تعالى وفقاً لقول رسول الامم هنا : لا سلطــة الا من الله (رومية ١٣ : ١) حاشى وكلا اذ ان الله لم ينشئ المسونية بل ان منشئها لوسيفورس اللعين

(٢) الجمعيات السرية في سويسرا نشرة المراسل في ٢٥ اذار سنة ١٩٤٥

(٣) في رسالته الى الرومانيين الفصل ١٣ من العدد ١ الى ٨

الرؤساء ليس على العمل الصالح بل على الشرير .... لان صاحب السلطة خادم الله لك للخير .. فلذلك يلزمك الخضوع له لا من اجل الغضب (والغصب) فقط بل من اجل الضمير ايضاً ... ادوا لكل حقه الجزية لمن له الجزية والجباية لمن له الجباية والمهابة لمن له المهابة والكرامة لمن له الكرامة الخ

فما اوضح هذا التعليم وما افصحه واقطعه. وعليه نقيم البرهان ونقول:

اذا كان الله تعالى قد انشأ مثل هذا النظام الالهي فمن يا ترى تسوغ له معاندته ومقاومته. ان يجوز السعي في هدمه. لعمري لا يحق لاحد مطلقاً. اذ لا سلطة فوق سلطانه عز وعلا وفوق السلطان الذي شاء ان يقلده لبعض افراد البشر

والحال ان الرب الاله لم يفوض الى الجمعية [illegible] ولا ذرة من سلطانه كما هو ظاهر عياناً بل انها اختلستها اغتصابا كاختلاس ابليس ما يريد من التسلط والتعدي على بني آدم وخصوصاً على نفوسهم وقلوبهم وعقولهم وكاختلاس قاتل المتعدي على قريبه والخاطف روحه . ولذا يصدق على [illegible] قول السيد المسيح هذا للفريسيين بالفم [illegible] انتم من اب هو ابليس وشهوات ابيكم تشتهون ان تعملوها . فانه من البدء قتال للناس (يوحنا ٨ : ٤٤) وكما ان مجمعهم من الناس [illegible] ان يقيم [illegible] كنيسة المسيح [illegible] من [illegible] [illegible] الفاسقة التي يدعون ويعملون بها انها من ابليس ...

٨ اما الآن فعلينا ان [illegible] الى درجات الماسونية الخفية . قال في [illegible] السيو دي [illegible] في [illegible] [illegible]

٣٨٠) [illegible] ان الماسونية [illegible] [illegible]

[illegible] من جميع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

الخـارجية الثلث المار ذكرها. فتدعى هذه الدرجات الخفية رئيسية او فلسفيـة او عالية او فائقة ويلقب المسونيون البالغون اليهـا مسوبيين عالين او فائقين الخ

فكثيرة هي درجات المسونية العالية حتى ذكر منها الاخ راكون المسوني ما ينيف على الف واربعمائة. الا ان عدداً معتبراً منها قد أُلغي او امسى تاريخياً ليس الا

ثم ان عدد الدرجات الباقية يختلف حسب اختلاف الطقوس المسونية الكثيرة الانواع . الا اننا نقتصر على ايراد اعلاها واهمها فهي

١ً درجة المختار السكوسي الكبير

٢ً درجة فارس الشمس اي سكوسي سنت اندري الكبير

٣ً درجة فارس الشرق وانسيف

٤ً درجة الفارس روزكروا والامير روزكروا السامي او بالاختصـار الروزكروا (اي الوردة الصليب)

٥ً درجة الفارس كادوش المختار الكبير او اختصاراً كادوش

٦ درجة امير السر الملوكي

٧ً درجة المراقب الكبير العام الخ

اما وجود درجات عالية خفية في المسونية فقد قرره القانون المسوني الذي نظم في مدينة كولونية (المانيا) ويعرف بشرطة كولونيـة ثم قرره المجمع المسوني الذي عقد في ويلهمسباد سنة ١٧٨١ . فضلاً عن ان كتـاب رسوم وقوانين الطقس المسوني الفرنسي العامة تشير اشارة جلية الى تلك الدرجات عينها في البندين ٣٥٦ و ٣٥٧

٩ ولم تجعل الماسونية درجاتها العالية (١) كثيرة دون سبب . فقد رأينا ان درجاتها السافلة (اي الخارجية) ليست الا ثلاثة لان اصحابها لا يستودعون ولا سرًّا واحدا حقيقيا وكل ما يوحى اليهم من الاسرار وهمية يستر الحقيقة ببرقع الرموز. اما الدرجات العالية فهي موضوعة لايداع اسرار الماسونية الحقيقية للمنضمين في سلكها . فكما ان الادوية الكريهة اذا خشي من ان تتقزز منها النفس فتتقيأها تعطى للمريض على شكل حبوب صغيرة سهلة الازدراد فيسترطها وتؤثر في جسمه دون خطر تقيئها هكذا الاسرار الماسونية التي هي سموم ادبية لا تعطى للماسونيين العائشين الا شيئا فشيئا خوفا من ان تهيج ما بقي فيهم من اثر الضمير او الايمان فتنفر نفوسهم من الماسونية ويمقتونها مقتا . فاذا ابتلع الماسوني دون كراهية حبة صغيرة من الاسرار يعطى بعد زمان حبة اخرى اقوى والا تُرك على حدة وبقي في درجته السافلة . هاته هي العلة الحقيقية لتكثير الدرجات العالية . فمن لا يرى ان في هذا حكمة خفية جهنمية

١٠ لكن ما هي هاته الاسرار يا ترى هل لم تزل سرية محجوبة . كلا ان الله لم يسمح بان تبقى محجوبة بل اراد ان تكون مكشوفة على رغم [illegible] فهي معروفة ولو غير مشهورة بل محجوبة [illegible] مرارا مسطورة في كتب جديرة الثقة [illegible] وشهادات غير محدودة حتى ان الماسونيين لم يستطيعوا دحضها [illegible]

---

(١) ان في اللغة الماسونية الثالثة [illegible] ونظن ان لها درجة اخرى تجعلها [illegible] الاخير

على ان العلامة الشهير اوغسطين بَرْويل (المتوفى سنة ١٨٢٠) صاحب الكتاب الذي عنوانهُ « مذكرات لتاريخ الشيعة اليعقوبية (اي المسونية) وهو اربعة مجلدات يخبر باسهاب في مجلده الثاني (الصفحة ٢٠٣ وما يليها) كيف ارتبط منذ صبوته عن غير تروٍ مع المسونيين الذين جذبوه يومًا الى مأدبة مسونية عدها جمعية اصحاب بسيطة

فلما انتهت المأدبة أُخرج الخدمة واقفلت ابواب الغرفة وابانوا لهُ انهُ في محفل مسوني وطلبوا اليه ان يدخل في المسونية ويرتقي في تلك الجلسة الى الدرجات الثلث الاولى . فأبى كل الاباء وحقق لهم انهُ لن يرضى قطعًا باقسام اليمين المسونية لان شرفهُ وضميرهُ ايضًا يصدانهِ عن ذلك فاعفوه من كل يمين . اما هو فاصرّ على ابائهِ وقام ليخرج ويتخلّص من الحاحاتهم الخداعة فاوقفوه وقالوا له ان الابواب كلها موصدة ولا تفتح لهُ قبل ان يدخل في الدرجات المسونية الثلث . قالوا هذا واتشحوا كلهم باكسيتهم وعلائمهم المسونية وشرعوا في اقامة احتفال لدرجة الاولى فصرخ برْويل وقال لهم « اعملوا ما بدا لكم فانا لست راضيا بشيء مما تعملون واعتبر كل احتفالاتكم كالاعيب صبيانية ولن اصير مسونيًا ابدًا »

واخذ يجيب بالتهكم والضحك على الاسئلة المستهجنة الخالية المعنى التي كان رئيس المحفل يلقيها عليه فرُقي اولًا الى درجة مبتدئ مسوني ثم الى درجة رفيق ثم قال له الرئيس : « هل انت مستعد يا اخي لاتمام جميع اوامر المعلم الاعظم رئيس المسونية ولو جاءتك متضادة من ملك او امبراطور او اي سلطانٍ كان » فاجاب الشاب كلا

فاندهل الرئيس وتميّز من الغيظ وتهدد الشاب بالسيوف المتدجج بها الذين

حوله. فقال بروبل : افعلوا بي ما شئتم فاني لن ارتبط قطعاً بشيء يضاد شرفي وضميري وقد قلت لكم هذا منذ البداءة واكرره الان ولا اجيب على سوال يرضيكم الا بكلمة كلا

ورغماً عن هذا الجواب القاطع لم يقتنع الرئيس بل الح على الشاب اي الحاح حتى عيل صبر بروبل فطرح العصابة التي وضعوها على عينيه وضرب بها بالارض بغضب وكرر جوابه السابق بجزم وثبات وتصلب

فلما رأى الرئيس انه قد غلب اعتصم بالحيلة وقال للشاب قائلا له : دهشت يا تجوع فاني انني على ثبوت وشجاعة الديني اينهما والمسونية اذ يقتضي رجال نجعة ... ولذا الخصال ... جميع الحاضرين وهنئوا الشاب ... من رتبة ...

وقصارى الكلام ان الشاب بروبل صار مسونيا قسرا ودون ان يعد بشيء . هذا ولذا كانوا يرجون ان يتغلبوا على عناده بالتدريج بشروه بانه يكون مقبولا في كل جمعيات ...

اما بروبل فقال في نفسه اذا كان المسونيون الذين يرتقون الى درجة ... يعدون بالا يطيعوا الا لرئيس المسونية الاكبر اني لا ... الجمعية السرية فهم ينكرون كل سلطان شرعي ... الثورة . فان كان الامر على هذا المنوال فيلزم حبا بالخير العام ان ... معروفا وان السلطة الزمنية والروحية تتحذر من مكايد المسونية ... استطيع ان احضر جمعيات ... الذي دخلوني فيه ... الفرصة لاكتشف سر هذه الشركة السرية حتى ... كتابا افشي فيه المسوه ... لا ... كلها

وقد توصل برويل بعد الجهد العنيف الى كشف الستار عن وجه هذه الاسرار لا بحضوره في الاجتماعات المذكورة فقط بل ايضاً بقراءته كل الكتابات المسونية التي استطاع الحصول عليها وتعمنه في بعض عبارات رمزية وخصوصا ستفهامه غالباً اصدقاءه الذين بلغوا درجات المسونية العالية

فهكذا تمكن هذا المؤلف الشهير بعد الوقت الطويل والصبر الجميل من اذاعة اربعة مجلدات ضخمة عن المسونية التي كانت حينئذٍ معروفة في فرنسا باسم الشيعة اليعقوبية (١)

١١ ولم نات على هذه التفاصيل المسهبة عن الكاتب برويل الّا لنبين انهُ تعمق في البحث عن المسونية كل التعمق وان ما كتبهُ عنها جدير بالثقة والصدق. فهاك الان ما كتبهُ في الصفحة ٣١٢ من المجلد الثاني من تأليفه قال :

« كان رجل من الاخوة المسونيين قد رقي من سنين عديدة الى درجة الروزكروا وكان مع ذلك على جانب من الادب والتقوى . على انهُ كان غير راض عما كنت ارتئيه في المسونية من حيث فسادها وكثيرًا ما كان يرشدني ابتغاء ان يهديني الحق ويحادثني في هذا الشأن مليا . ولما كنت اقول لهُ انهُ لا يعرف كل اسرار المسونية إما لان درجة روزكروا ليست بأعلى كل الدرجات واما لان لهذه الدرجة اقساماً لا يعرف منها الّا قسمًا واحدًا كان يتميز مني غيظاً اما انا واخراجاً لهُ من حفرة عماه اخذت امهد لهُ الوسائل للبلوغ الى الدرجة التي

---

(١) انما لقبت المسونية بهذا الاسم نسبة الى دير القديس يعقوب الذي كان ارباب الثورة طردوا منهُ الرهبان الدومينيكان وصارت الاجتماعات المسونية تعقد فيه غالبا

فيا ينهتك الحجاب حيث لا يعود لازما [illegible] وكان [illegible]
في ذلك ليعرف ما هنالك املاً في ان هذا كله [illegible] الا واسطة [illegible]
بغلطي وغرور اوهامي بشأن [illegible] [illegible]
[illegible] كلامه وحده دلائل كافية [illegible]
خفقان قلبه « بحقيقة يا حبيبي [illegible]
طلقة حتى جلس [illegible] مغمى عليه [illegible]
ما يكفي ان [illegible] جبتة « [illegible] استغفرك [illegible]
[illegible] عفوا لانك اقسمت [illegible] فظيعة [illegible] اني [illegible]
[illegible] عن [illegible] معرفة

ولما سألته بعض [illegible] اجاب [illegible] لا [illegible]
[illegible] وحده ذاكرا لي جوهر الامر فقط . وكانت [illegible]
الثورة فاقر لي [illegible] له على الفور اذا [illegible]
شئت ان اسافر الى [illegible] و [illegible] و لاستانة [illegible]
الذهاب اليها لا يعوزك شيء لا [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible]
ولكن بشرط ان تنتظر [illegible]
هنا كل ما استطيع ان اقوله لك [illegible]
لا تسألني عن شيء بعد

١٢ ودونك قصة [illegible] روتها [illegible] للنشرات الفرنسية [illegible] في [illegible]
لاول سنة ١٨٨٠ قالت .

[illegible]
[illegible]

ان يعطوه خمسة فرنكات عند دخول احدٍ جديدًا الى المسونية وانهم يقدمون له شغلًا في كل ايام السنة وان امرأتهُ تهيّئ المآكل والمشارب لاعضاء المحفل وتصنع الاطعمة التي يوزعونها على الفقراء متخذةً لبيتها منها النصيب الاول . واذا كانت عليه ديون قاموا هم بايفائها كلها لاربابها قبل دخوله

« فانشرح صدر النجار طبعًا من هذه المواعيد وبعد الاستفهام قليلا والفحص عن هذه الجمعية والتصديق بانها انما غايتها خيرية استشار امرأته ... ... مسونيا وأجري ... بعض الامتحانات

فلما جاء يوم ادخاله اجتمع اصحاب الرتب في المحفل فأُدخل المترشح الى غرفة الاحتفالات حيث كانت ... مغطى بالسواد ... احمر مغطى بستار . فاغلق باب الغرفة وجاء احد الاخوة واخذ يعلم هذا الدخيل الحديث قال له . « ستقسم على هذا التابوت بانك تكون امينًا في حفظ السر والا فهذا يكون مقابلك »

وفي هذه الاثناء دله على جمجمة جثةٍ ثم رفع الاخ الستار فظهر تمثال المسيح منبسطا على الارض وفوقهُ سيفان متقاطعان وعلى جانبه حربة فاشار الاخ الى المسيح وقال للمرشح بصوت يدل على عدم الاكتراث « ما عليك يا أخي الا ان تضع رجلك فوقهُ وتقول : اجحدك ايها المسيح »

فلما سمع النجار هذا الكلام اقشعر جسمهُ خوفًا واضطرب ضميرهُ وصرخ بصوت تتخلله زفرات ... « كلاَّ لن اقبل بهذه الفاحشة ابدا . لقد خدعتموني . فتحوا لي الباب اني اريد الخروج » وكان بعض الاخوة في الغرفة الملاصقة يسمعون هذا الجواب فدخلوا وجعل كلٌّ منهم يبذل قصارى الجهد لجذب هذا المسكين الى الجحود فقال له احدهم : « ان المسيح لم يكن الها بل

كان انساناً اكثر علما من غيرهِ واكثر ما يقال فيهِ انهُ ادّعى النبوءة فصلبهُ اليهود »

وقال لهُ آخر « ما بالك متردداً ياعزيزي لقد طالما اعتمدنا عليك ووثقنا بك لانك رجل فطن . فاطرح عنك هذه الاوهام وكن واحداً منّا »

اما النجــار الاديب فلم يشأ ان يزيدوهُ بياناً بل قال لهم بشهامةٍ : « يا سادتي انتم تدعونني رجلاً فطناً والرجل الفطن لا يجحد ايمانهُ ابداً فلذا لن اقبل ابداً بارتكاب هذه الخيانة القبيحة . افتحوا لي اريد الخروج »

فلما سمع الاخوة هذا الجواب بصوت بطل حازم امتقعت وجوههم من صفرة الغضب والخجل وأكرهوا رغماً عنهم ان يفتحوا الباب لهذا الرجل الذي رغبوا في اغوائهِ عبثاً

فمن هذه الرواية يظهر جليــاً الى اي حدٍ يتصل حقد المسونية الشيطاني على سيدنا يسوع المسيح

١٣ وذكر احد المرسلين البسيونيين قصةً جرت لهُ سنــة ١٨٦٥ قال : دعيت يوماً لاعود مريضاً ادنف على الموت في بروكلين (اميركا) وكان المانياً ولهُ ابنة وحيدة كاثوليكية متمكنة في دينهــا اخبرتني ان اباها كان مسونياً . وبعـد ان استمعت اعترافهُ سألتهُ هل انخرط في احدى الجمعيـات السرية . فقــال « نعم يااتِ انا مسوني لكنك تعلم ان هذا في اميركــا ليس بشرٍّ » فاجبتهُ : لقد غلطت لان المسونيــة محرومة اينما وجدت فيقتضي اذن ان تجحد حيثما وجدت وتدفع اليَّ كل شعار مسونيٍ عندك

فاستصعب المريض سؤَالي لكنهُ كــان ذا ايمان فذيَّل بتوقيعــه صورة الجحود التي كتبتها لهُ ثم الححت عليهِ ليعطيني حمالتــهُ وزاويتهُ وماخذهُ المفدي

ومئزره الجلدي وكتاب الخدم المسونيـة وكانت كلها مودعةً في خزانةٍ قرب . سريره فسرت لهُ كيف يجب ان يتجرد من هذه الاشياء كلهـا اذا شاء ان يندم ندامةً خالصة ويرجع رجوعًا صادقًا الى الكنيسة. ثم خرجت حاملًا هذه الغنائم منشرح الصدر لاني تمكنت ان انقذ نفساً من يد الشيطان

وكانت البنت التقيـة تنتظرني في فنـاء الدار فلما رأتني قالت « هل اعطاك والدي كل شيءٍ . هل تصالح مع الله » فاجبتهـا : انظري يابنيـة . واريتها كل ما كان في يدي وبعد ان تأملت فيها كلها قالت بحزن « ليس هنا كل شيء فلم يصعب عليهِ ان يسلمك هذه الشعائر وربما تصعب كثيرًا في تسليم هذا الكتـاب المسوني الذي يختص بدرجتهِ . لكن بقي عندهُ شيءٌ وهو كتابة لم اطلع على ما ضمنت وقد اوصاني والدي ان احملها مختومة بعد موتهِ لرئيس محفلهِ ولا شك ان فيها امرًا مهمًا »

فرجعت الى المدنف وقلت له : لمَ خدعتني ياعزيزي انت ذاهب لتمثل تجاه منبر الديان. فهل تظن انك تنجو من قضائهِ المحتوم. وقد بقي عندك شيءٌ لم تسلمنيهِ. فبهت العليل وقد اصفرَّ وجههُ واضطربت عيناهُ وقال بارتباكٍ : « لقد سلبتني الكل فلم يبقَ عندي شيء لادفعهُ لك » فاجبتهُ « لم تزل عندك كتابة تحفظها لرئيس المحفل شأن سائر المسونيين » فقال « لا ياابتِ ما عندي من شيءٌ البتة » فالححت عليهِ ولكن عبثًا وكاد ابليس يظفر منتصرًا فبذلت جميع الوسائل التي عددتها لازمةً في مثـل هذه الفرصة فذهبت سدًى وكان العليل ينكر او لايجيب. الّا ان ابنتهُ فتحت الباب اخيرًا وانطرحت على ركبتيها قرب السرير وقالت « آه ياابتِ خاص نفسك والّا امست ابنتك في حال التعاسة. انت تقول انك تحبني فأرني الان من محبتك دليلًا »

ولم يكن المريض منتظرًا هذه الصــدمة الاخيرة فاحدق بهِ الاضطراب وحركت جوانحهُ دموع ابنتهِ. ثم اخذت البنت تمتمهُ بالطف الكلام وتذكر لهُ السماء التي سيخسرها ان اصرَّ معاندًا فقال لها : « انتِ تعرفين يا بنية ان ليس عندي من شيء مخبأ. فقالت ابنتهُ « لا تكذب يا ابتِ انك كنت دائمًا حرّ الضمير فلا يكن لي اسمك سببًا للخجل . سلم الاب الورقة التي اوصيتني ان احملها الى رئيس المحفل »

فلما سمع هذا الكلام صرخ صوتًا عظيمًا ثم قال متنهدًا « لا يا بنية لا يكوننّ لكِ والدكِ سبب خجالة. خذي المفتاح من عنقي وافتحي المخدع واعطي الاب الورقة التي فيهِ » ثم سقط وقد خارت قوتهُ

فاسرعت ابنتهُ كالبرق واحضرت لي الورقة مطوية مختومة وقالت :« ما احسنهُ انتصارًا ان ابي خلص لانهُ تقيأ السم »

وكان لهذا الجهــاد الذي شهدتهُ وقع عظيم في قلبي وقد ذكرتني هذه البنت الشجاعة بنصرانية غيورة من العصور الخوالي . ولم يعش العليل الا بضع ساعاتٍ وآخر ما نطق بهِ تلاوة افعال الايمان والرجاء والندامة . وقد فضضت امام ابنتهِ ختم تلك الورقة السرية فاذا فيهــا يمين موقعة بدم . فتذكرت بما طالما سمعتهُ عن كذا النوع عند رؤساء المسونية لكن لما اجلت نظري فيهــا كدت لا اصدق ما تبصر عيناي لان فيها يمينًا باصلاء حربٍ لا نهــاية لها دون خوفٍ من اي خطر كان ضد الكنيسة والبابوية والملوك مشفوعة بجميع اللعنــات على من ينكث مخلفًا موعده. فسلمت هذه الورقة الى المطران حتى يطلع كما اطلعت انا على شر المسونية الجهنمي

وهذه القصة هي دليل واحد من الوف ادلة ينبانسا بان المسونية هي في

كل البلاد العدوة القتّالة للنصرانية والكنيسة الكاثوليكية وكل منشآتها والبابوية الروحية والزمنية وجميع السلطات الشرعية المدنية والدينية

١٤ شتّان اذن بين المسونية الخارجية وبين الداخلية لان في الاولى اعمالًا لا تتعدى حد الألاعيب الصبيانية اما في الثانية فيرتفع الحجاب ويتبادل الاعضاء المناداة بقاعدة مبادئهم الجهنمية وهي « الحرب ضد الله وضد مسيحهِ وكنيستهِ. الحرب ضد الملوك وكل سلطة بشرية ليست معنا ». هذه هي قاعدتهم هذه هي جامعة اتحادهم

هناك لا يبقى الّا اتحاد مريع تحققهُ دولة سرية بسيطة محكمة التنظيم بدهاء وقد قال المسوني المشهور متزيني في منشورهِ الصادر في نيسان سنة ١٨٣٤ « اعلموا ان شركة رجال احرارٍ متساوين اذا ارادت قلب دولة يجب ان يكون لها نظام بسيط جلي سائر»

ويرئس جيش الظلام هذا رئيس وحيد مجهول يظل مستترًا وهو يدير بيده جميع البيوت والمحافل المسونية هو رأس سري مهول يرتبط بهِ بيمين طاعة عمياء جميع المسونيين من كل الرتب والدرجات الذين لا يعرفون اسمهُ بل ان كثيرين منهم لا يريدون ان يصدقوا وجوده. وهذا الرجل الشيطاني هو اقدر من كل ملك في العالم وكان في اواخر القرن الماضي رجلًا المانيًا مجهولًا اسمهُ ويسهبت وقد بقي رأسا للمسونيين سنين طويلة

ورئيس الشركات السرية لا يعرفهُ الّا اربعة او خمسة من المنتخبين المتحضنين في المسونية وهؤلاء نيابةً عنهُ يبلغون اوامره كلٌّ الى محفل من المحافل الكبرى الرئيسية التي يجهل اعضاؤها انفسهم المنهج والغاية اللذين يطّردهما بينهم نائب الرئيس الاكبر. وكلٌّ من اعضاء هذه المحافل عينها يكون في دوره نائبًا عن

هؤلاء النواب في المحافل التي هي ادنى منها رتبةً وهكذا بالتدريج حتى الوصول الى محافل المسونية الخارجية والمجتمعات المسونية الظاهرية البسيطة التي ليست على شيء من الاسرار المهمة ولا تدري بشيء من دسائس وفتن الجمعيات السرية

ففي هذه الطغمة المسونية الخفية كل من الاعضاء يقاد ولا يعلم من يقوده ويجري الاوامر التي لايعرف لا اصلها ولا غايتها الحقيقية فهاته هي والحالة هذه الشركة السرية الحقيقية لهؤلاء الذين هم اعضاؤها . فمن نحو ستين سنة كادت الشرطة الرومانية تقبض على رئيس المسونيين الاعظم وقد تمكن الكردينال برنتي كاتم سرِّ الدولة البابوية في عهد لاون الثاني عشر من الحصول على عدَّة مراسلات سرية بين رؤساء المحفل المسوني الاعلى الذي يسوس سائر المحافل وكان واحد من هؤلاء الائمة نديماً ملازماً للامير ميترنيك كبير وزراء النمسا وكان يلقي عليهِ كل اتكالهِ

١٥ وتمييزاً للمسونية الخفية يسمونها بالفحامية (كربوناري) وهي شيء واحدٌ مع المسونية بل هي منها قوتها الجندية . وبعد ان سبرها الاخ لويس بلان المسوني سبراً رسمياً رأيناهُ ينذهل متعجباً من تنظيم المسونية اذ قال عنها انها « هي آلة قديرة وعجيبة » وقد اقرَّ ان حول شركة سياسية رئيسية يسمونها « بالمجتمع السامي » شركاتٍ كثيرة يلقبونها بالمجتمعات القطبية وتحت ادارتها مجتمعات اخرى خصوصية .

« فلإنشاء المجتمعات القطبية يتخذ الوسيلة الآتية . يأتي اثنان من المجتمع السامي ويتحدان مع ثالث دون ان يبيحا له بما في صدرهما فيجعلانهِ رئيساً للمجتمع المنوي انشاؤه ويتخذ احدهما لنفسهِ لقب رسول والاخر لقب

مراقب . فيهتم الاول بمواصلة المجتمع الاعلى بالرسائل والثاني بمراقبة سيرة المجتمع الجديد وعلى هذا الاسلوب يضحي المجتمع السامي كالدماغ من كل من المجتمعات التي ينشئها مع بقائه بازائها حافظ سرها ورئيس اعمالها . فنرى ان في ذلك ائتلافاً غريباً وتلويّاً عجيباً . ثم تتزايد على هذه الصورة المجتمعات الى ما لانهاية له »

١٦ ويقول الاخ لويس المذكور في موضع آخر بصراحة : « وقد استدركوا وجوب احباط مساعي الشرطة فاتفقوا على ان تكون المجتمعات مشتركة بالعمل دون ان يعرف بعضها بعضاً بنوع ان الشرطة لا يستطيعون ان يحصلوا على مجموع التنظيمات الا بالدخول في المجتمع السامي وقد حُجر على كل فحام منتظم في مجتمعٍ ما ان يدخل في مجتمع آخر وان خالف قُتل قتلاً

« ومن واجبات الفحام ان يكون عنده بندقية وخمسون كرة محشوَّة رصاصاً (فشكة) وان يكون مستعداً للامتثال بطاعةٍ عمياء لاوامر الرؤساء المجهولين » . وهذا النظام المهول الذي رواه الاخ لويس بلان قد رُتب في « محفل اصحاب الحق » هكذا اذن وراء المحفل الخارجي المحفل الداخلي ووراء المسوني المبتدئ والرفيق والمعلم والمسونيين انفسهم ذوي بعض الدرجات العالية يتحجب المسوني الفحام عضو الشركة السرية الحقيقي . فالمحافل الخارجية التي تنشئها المسونية تحجب عن الابصار المحافل الداخلية التي وراءها والدرجات الخارجية تستر الداخلية والتعليم الظاهر يخفي التعليم السري والطقوس والخدم الغريبة المضحكة تحجب المؤامرات الخفية . اما الاسرار المضحكة فلم تختلق الّا لاخفاء السر الحقيقي احسن اخفاء وفي الجملة فان المسونية الشائعة تخفي المسونية السرية

الَّا ان بين المسونيــة والفحامية ائتلافًا شديدًا على انهُ مجهول لان الاولى بمنزلة الجسد والاخرى بمنزلة النفس . الاولى بمثابة جيش الجنود والاخرى بمثابة جيش القواد الرؤساء تلك تقاد وهذه تقود

١٧ ان المسونيين اعضاء المحافل الداخلية لايترددون عن اقتراف اية فاحشة كانت . قال السيد دي سيغور في تأليفهِ في المسونيين المطبوع بباريس طبعة جديدة سنة ١٨٨١ :

قد اكتشف في رومية اثناء الثورة سنة ١٨٤٨ على عدَّة جمعيات ليلية منها جمعية عقدت في محلة ترنستيفيري حيث كان الرجال والنساء مجتمعين معًا لاقامة ما يسمونهُ « بقداس الشيطان » هنــاك كانوا قد وضعوا على مذبح كأسًا وعلى جانبيها ست شمعات سوداء . وبعد ان تقدم كل واحد من المجتمعين وبصق على الصليب وداسهُ برجليه جاء كلٌّ بمفرده ووضع في الكأس جزءًا من القربان المقدس كان إما تنــاولهُ صباحًا في احدى الكنائس او اشتراه من بعض العجــائز المترائيات نظير يهوذا . ثم تقــام بعض رسوم شيطانية تختم بامر الجميع ان يسحبوا الخناجر كلهم ويثبوا على المذبح لطعن القربان الطاهر طعنات متعددة وعند اكمال القداس تطفأ الشموع

١٨ وقد انتقلت هذه الاعمال النفاقية القبيحة من ايطاليا الى فرنسا وقد اكتشف من مدة غير بعيدة وجود فئة من المسونية قد تنظمت على اساس غاية وحيدة هي الاتفاق على الوسائل الفعَّالة لتقويض اركان الايمان بشدة وتأكيد وهذه الفئة منقسمة الى فئاتٍ صغيرة مؤلفة كل منها من ١٢ الى ١٥ عضوا فقط لا اكثر خوفًا من استلفات العيون اليها وهي لاتتألف الّا من رجالٍ علماء او من قوم لهم من حيث مراكزهم او معارفهم او ثروتهم بعض نفوذ ورؤساء

الفئات لا يقيمون في محال اجتماعاتهم بل في باريس التي هي قطب اعمالهم .
ومن الامور الفظيعة التي تشمئز منها الابدان انهُ يجب على كل طالب الانتظام في سلكها ان يأتي يوم دخولهِ فيها بجزء من القربان المقدس ويدوسهُ برجليهِ امام جميع الاخوة

١٩ روى شاهد عياني جدير بالثقة قصة غريبة تدل على شناعة المسونية وشدة انتقامها نجعلها الان خاتمة كلامنا عن المسونية قال :

دخل شاب في المسونيــة فتوسّم فيــهِ الجدارة للامور العظيمة فنقل سريعــاً الى المسونية الداخليــة وما مضى قليل حتى عيّن جلاّدًا لقتل رجل حكمت عليهِ السلطة المسونية فاطاع بالرغم عنــهُ وجعل يقفو اثر الغريم حتى لقيهُ في اميركا فدق عنقهُ وعاد الى فرنسا واشواك الجريمة تنخس ضميره فعزم ان لا يشترك فيما بعد باعمال المسونية السرية . لكنهُ لم يلبث ان انتهى اليهِ امر جديد يجبره على قتل رجل آخر . فاضطرب قلبهُ فيهِ هذه المرة وعزم ان يتملص من الجريمة بالهرب فخرج بغتةً وخفيــةً من باريس وقصد السفر متنكرًا الى جزائر الغرب فلما وصل الى مرسيليــا أرسلت اليهِ في الفندق الذي نزل عليــهِ ورقة اخوية فيهــا هذه الالفاظ « قد عرفنا مقصدك فلن تفلت منا ابدًا إما الطــاعة وإما الموت »

فترك من فورهِ ذلك النزل ونفسهُ جاشت فيها عواطف الندامة والخوف فذهب في طرق متعوجة وانطلق يطلب ملجأ في احد اديرة الترابيــين قرب بلاّي . لكنهُ تالي يوم وصولهِ انتهى اليــهِ التنبيه نفسه والتهديد عينه . « انا في اثرك جادّون فعبثًا تلتمس لنفسك منا محيصًا »

فاخذ منهُ القلق كل مأخذ وتحير متخلع القلب لعلمهِ بالاختبار ان المسونية

لا تعفو ابدًا . فذهب واستشار احد الكهنـــة الفضلاء وهو الذي روى هذه القصة فسلمهُ الى مرسلين شجعة اوصاهم باخفائهِ

٢٠ وما هذه القصة المريعة الّا تحقيقًا حرفيًا للقوانين الشديدة التي تجري اليوم عليهـــا المسونيون واليك بعض فصول من الدستور السري الذي طبعـــهُ متزيني :

« الفصل الثلثون : ان الذين لا يطيعون لاوامر الشركة السرية و الذين يبيحون باسرارها يُطعنون بالخنجر بلا مغفرة وكذا عقاب الخائنين

« الفصل الحادي والثلثون : ان المجلس السري يصدر الحكم ويعيّن اثنين من الاخوة لاجرائهِ فورًا

« الفصل الثاني والثلثون : من ابى اجراء الامر يُعدُّ خائن العهد ويُقتل سريعًا

« الفصل الثالث و الثلثون : اذا هرب المجرم يقتص اثره دون ابطـــاء في كل مكان ولا بد ان يُضرب بيدٍ غير منظورة سواء كان في حضن امه او ضمن بيت جسد المسيح »